الأخبار
al-akhbar

السبت 20 حزيران 2026
العدد 5805 السنة العشرون
Samedi 20 Juin 2026 no 5805 20ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات

التراث الثقافي في زمن الحرب
توثيق وسرد حكاية الصمود

الضاحية تُلملِم رُكامها: هل تكون عودة النازحين نهائية؟ 4

العدو يخسر معركة «علي الطاهر»... وينتقم من المدنيين
«ملحق أمني» لـ«إعلان واشنطن» نهاية الشهر 2

مفاوضات سويسرا
إسرائيل تعطّل الانطلاقة
10 - 8

(أ ف ب)

الحرب الكونية ضد المقاومة

أميركا تعلن وقفاً جديداً لإطلاق النار والعدوّ لا يلتزم

«ملحق أمني» لـ«إعلان واشنطن» نهاية الشهر

عادَ أمس ملف وقف إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله إلى الواجهة من جديد، لكن بصيغة تكاد تبدو مالوفة أكثر من اللازم: إعلان يتبعه تصعيد، وتهدئة تُنقض ميدانياً خلال ساعات أو أيام. فالمعادلة القائمة باتت أقرب إلى «وقف نار مُعلّق» يُختبر بالنار نفسها، في ظل استمرار الخروقات الإسرائيلية، مقابل تأكيد المقاومة أن أي استهداف سيقابله ردّ مباشر، ما يُبقي الجبهة اللبنانية داخل دائرة اشتباك مفتوحة بلا أفق حاسم.

وبعد دقائق على كشف مسؤول أميركي لـ«رويترز» أن إسرائيل والحزب اتفقا على وقف لإطلاق النار ابتداءً من الساعة 4 بعد الظهر (أمس) بالتوقيت المحلي، شنّت إسرائيل عدة غارات على عدد من قرى الجنوب، علماً أن الرئيس الأميركي دونالد ترمب كان قد أكّد لـ«إكسيوس» على قدرته منع إسرائيل من مهاجمة لبنان وقال: «ساكون قادراً على منع إسرائيل من مهاجمة لبنان، فهم يكنّون لي الاحترام ويفعلون ما أقوله». وأضاف: «علاقتي مع نتنياهو جيدة لكن علينا أن نحافظ على اتزانه قليلاً».

التصعيد الإسرائيلي يوم أمس، والذي جاء رداً على عمليات مؤلمة نفّذتها المقاومة ضد قوات إسرائيلية حاولت التوغّل في تلال علي الطاهر، لا ينفصل عن توقيته السياسي، إذ يأتي قبل أيام من جولة مفاوضات مُرتقبة في واشنطن بين لبنان وإسرائيل، وبعد مرحلة من التفاهمات الأميركية – الإيرانية التي لم تنعكس استقراراً ميدانياً، وسط مؤشرات على محاولات متبادلة لإعادة رسم قواعد الاشتباك الإقليمي. وفي خلفية المشهد، يبرز سؤال أكثر حساسية: هل تمتلك واشنطن فعلياً القدرة على ضبط السلوك الإسرائيلي ضمن مساراتها التفاوضية، أم أنّ تل أبيب باتت تتحرّك وفق حساباتها الخاصة حتى داخل ظلّ الرعاية الأميركية؟ وإلى متى ستواصل السلطة اللبنانية مسار التأمر على اللبنانيين بإعطاء العدو حبل خلاص من أزمته بترتيبات أمنية مشتركة؟

انطلاقاً من هذا التداخل بين السياسي والميداني، تتبدّى الساحة اللبنانية باعتبارها الحلقة الأكثر هشاشة بعد أن قرّرت هذه السلطة الاكتفاء بإدارة الانفجار بدلاً من محاولة استثمار اللحظة السياسية الدولية لفرض معادلات أكثر توازناً، سواء لجهة وقف الاعتداءات أو الدفع نحو انسحاب إسرائيلي واضح. وربّما هذا ما يدفع الأميركي إلى عدم الضغط كفاية على كيان الاحتلال لإجباره على الالتزام، وهو ما دفع أمس رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى رفض الخروج وإعلان وقف إطلاق النار «قبل أن يخرج الأميركي ويؤكّد التزام إسرائيل به» كما نقل مقرّبون منه.

وقد جاءت التطورات الميدانية لتسبق المسار الدبلوماسي وتفرض إيقاعها عليه، حيث وسّعت إسرائيل نطاق تصعيدها ليطاول الجنوب والبقاع وصولاً إلى بعلبك، عبر غارات مُكثّفة أوقعت عدداً كبيراً من الشهداء. وهذا التصعيد لا يُقرأ كحدث ميداني منفصل، بل كرسالة سياسية مباشرة تُوجّه قبل الدخول في جولة واشنطن، بما يعكس محاولة تحسين شروط التفاوض بالنار. وبدلاً من أن يدفع ذلك لبنان الرسمي إلى وقف التفاوض ولو مؤقتاً أو بالحد الأدنى التهديد بذلك، حاول رئيس الجمهورية جوزيف عون تثبيت سقف سياسي مقابل هذا التصعيد، إذ اعتبر عون أن «ما يشهده الجنوب والبقاع من توسّع

> **السلطة تستعدّ لجولة المفاوضات الجديدة، وإيران تختبر قدرات ترامب في ضمان وقف الحرب على لبنان**

للاعتداءات الإسرائيلية يشكّل تصعيداً خطيراً ومُداناً، وقد طاول مدنيين أبرياء بينهم نساء وأطفال»، مشيراً إلى أن هذا المسار «لا ينبغي أن يعرقل الجهود الجارية للتوصّل إلى وقف شامل لإطلاق النار». وفي قراءة سياسية أوسع، وضع عون هذا التصعيد في إطار اختبار مباشر لجدّية المسار التفاوضي، مؤكداً أن «وقف إطلاق النار الشامل هو المدخل الطبيعي لمعالجة كل الملفات الأخرى، وفي مقدّمتها الانسحاب الإسرائيلي وانتشار الجيش اللبناني وعودة الأسرى».

وكان الموضوع، محل تباحث في اتصال هاتفي جرى بين عون ووزير الخارجية الأميركي ماركو روبيو الذي «أكّد على وقوف الولايات المتحدة الأميركية إلى جانب لبنان والعمل من أجل تحقيق الأمن والاستقرار فيه وبسط سلطة الدولة على أراضيها كافة ودعم مؤسساتها الشرعية والأمنية والعسكرية وفي مقدّمها الجيش».

وشدّد عون على «ضرورة توقّف الاعتداءات الإسرائيلية على الأراضي اللبنانية من خلال تحقيق وقف شامل لإطلاق النار الذي يعتبره لبنان ركيزة أساسية لتقدّم المفاوضات اللبنانية الأميركية الإسرائيلية».

«ملحق أمني» لـ«إعلان واشنطن»

في هذه الأثناء، تواصلت التحضيرات لجولة واشنطن المقبلة، حيث تشير المعطيات إلى أن «جدول الأعمال لن يقتصر على تثبيت وقف إطلاق النار، بل يتعداه إلى البحث في آليات التنفيذ، بما في ذلك الانسحاب الإسرائيلي وإعادة الانتشار، فضلاً عن مقاربات جديدة لترتيبات أمنية في الجنوب». وعلمت «الأخبار» من مصادر مطّلعة أن الأميركيين «أعدّوا بالتشاور مع الإسرائيليين وممثّلي السلطة في لبنان ورقة ترتيبات، سوف تتم إضافتها إلى «إعلان واشنطن» وتكون كـ«ملحق أمني» يجري العمل به، في مقاربة ملفّ تثبيت وقف إطلاق النار أو في ما يتعلّق بالانسحاب الإسرائيلي من لبنان، ما أضاف بعداً داخلياً ضاغطاً على الحكومة الإسرائيلية بين متطلّبات الرد العسكري والضغوط الدولية الداعية إلى ضبط التصعيد. في المقابل، يتمسّك حزب الله بمقاربته التي تعتبر أن استمرار الاعتداءات يُسقط أي وظيفة لوقف إطلاق النار، وأن «المقاومة سترد على أي استهداف»، مع تأكيد أن بقاء القوات الإسرائيلية في الجنوب يفرض معادلة مواجهة مفتوحة لا يمكن تجاوزها قبل انسحابها. فقد أعلنت غرفة عمليات المقاومة الإسلامية في بيان أن «المقاومة ستبقى بالمرصاد لأيّ اعتداء، يدافع مجاهدوها بكلّ شجاعة وبروح كربلائيّة حسينيّة عن أرضهم وشعبهم، ويذيقون جيش العدو بأسهم، موقعين بين ضبّاطه وجنوده القتلى والجرحى بالعشرات، وفي آلياته إصابات مدمّرة، وبيننا وبينه الأيّام والليالي والميدان».

(الأخبار)

(اسوشيتد برس)

خسائر إسرائيلية كبيرة وغارات كثيفة على النبطية والبقاع

العدو يخسر معركة «علي الطاهر»... وينتقم من المدنيين

شهد الجنوب ليل الخميس- الجمعة واحدة من أعنف جولات المواجهة بين حزب الله وجيش الاحتلال الإسرائيلي منذ اندلاع الحرب الأخيرة، بعدما حاولت قوات معادية التقدم نحو مرتفع علي الطاهر الاستراتيجي المشرف على مدينة النبطية. غير أن العملية تحولت إلى اشتباكات عنيفة أسفرت، وفقاً لما أقرّ به العدو، عن مقتل أربعة عسكريين، بينهم قائد كتيبة، وإصابة 17 آخرين. المواجهات تركّزت في محيط تلة علي الطاهر الواقعة شمال نهر الليطاني والمشرفة على مدينة النبطية وبلدات كفرتبنيت وكفرمان والنبطية الفوقا. وتُعدّ التلة من أبرز المرتفعات الحاكمة في المنطقة، إذ تمنح من يسيطر عليها قدرة مراقبة واسعة لجزء كبير من إقليم التفاح والقطاع الأوسط من الجنوب.

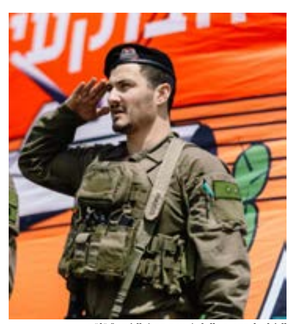

الضابط دور جدعاليا بن سمحون الذي قتلته المقاومة في الجنوب (جيش العدو الإسرائيلي)

في التفاصيل التي روتها «المقاومة الإسلامية»، حاولت قوة معادية التسلل باتجاه الجهة الشمالية من المرتفع، قبل أن تتعرض لكمين ناري استُخدمت فيه الصواريخ الموجهة وقذائف الهاون والصواريخ المدفعية، إضافة إلى المُسيّرات الهجومية. وخلال الكمين، جرى استهداف دبابات «ميركافا» وآليات أخرى. وفي النتيجة، أُجبرت القوة المهاجمة على التراجع.

في المقابل، أقرّ جيش الاحتلال بأن المعارك كانت «صعبة ومعقدة»، معلناً مقتل أربعة عسكريين بينهم قائد الكتيبة 52 في اللواء 401 المدرع المقدم دور جدالي بن سمحون، وإصابة 17 آخرين. وأظهرت التحقيقات الأولية الإسرائيلية، التي نقلتها قناة «كان» العبرية، أن دبابة القوة تعرضت خلال العملية لهجوم في محيط كفرتبنيت، بواسطة طائرة مُسيّرة مفخخة مزودة برأس حربي لصاروخ مضاد للدبابات.

وعقب المواجهات، حاول العدو تحميل حزب الله مسؤولية خرق وقف إطلاق النار، قبل أن تصدر غرفة عمليات المقاومة بياناً أكدت فيه أن

> **47 شهيداً و97 جريحاً في الغارات الإسرائيلية منذ منتصف ليل الخميس حتى بعد ظهر أمس الجمعة**

العمليات جاءت رداً على محاولة التوغل الإسرائيلي وعلى الخروقات المستمرة، مشددة على أن إسرائيل «لم تلتزم يوماً بأي اتفاق لوقف إطلاق النار» سواء تفاهم تشرين الثاني 2024 أو التفاهمات اللاحقة وصولاً إلى الاتفاق الأميركي- الإيراني الأخير الذي نص على إنهاء الحرب في جميع الجبهات، بما فيها لبنان. واعتبرت المقاومة أن مزاعم تل أبيب حول خرقها لوقف النار تهدف إلى تبرير العدوان المستمر، مؤكدة أن مقاوميها سيبقون «بالمرصاد لأي اعتداء».

وتحمل معركة «علي الطاهر» أبعاداً تتجاوز حدود الاشتباك الميداني المباشر، نظراً إلى أهمية التلة التي تُعد من أبرز المرتفعات المشرفة على النبطية وإقليم التفاح، ما يجعل أي محاولة للسيطرة عليها ذات قيمة عسكرية كبيرة. وأظهرت المواجهات استمرار قدرة حزب الله على إدارة معارك مركبة باستخدام مزيج من الصواريخ الموجّهة والمسيّرات والأسلحة النارية في عمق الجنوب، رغم أشهر من العمليات العسكرية الإسرائيلية.

في المقابل، شكّلت الخسائر التي أقرّ بها العدو، ولا سيما مقتل ضابط برتبة قائد كتيبة وثلاثة جنود آخرين وإصابة عدد من العسكريين، ضربة معنوية لافتة تعكس صعوبة العمليات البرية في المناطق الجبلية الجنوبية. وتكتسب هذه التطورات أهمية إضافية لأنها جاءت في توقيت حساس يتزامن مع مساعٍ دولية لتثبيت مفاعيل الاتفاق الأميركي- الإيراني الذي تضمّن وقف الحرب على الساحة اللبنانية، ما يجعل معركة «علي الطاهر» اختباراً عملياً لموازين القوى الميدانية ولقدرة التفاهمات السياسية والإقليمية على الصمود أمام تطورات الميدان.

عدوان إسرائيلي واسع

وبعد ساعات من المعركة وفشل العدو في الوصول إلى مرتفع علي الطاهر، شنّ سلاح الجو الإسرائيلي سلسلة غارات مكثفة على مناطق مختلفة في الجنوب والبقاع، استهدفت النبطية ومحيطها وعدداً من القرى الجنوبية، إضافة إلى مواقع في البقاع. ووصفت وزارة الصحة الغارات بأنها الأعنف منذ الإعلان عن التفاهم الأميركي- الإيراني الأخير، معلنةً أنها أسفرت منذ منتصف ليل الخميس حتى بعد ظهر أمس الجمعة عن 47 شهيداً و97 جريحاً.

(الأخبار)

قاسم: أفشلنا مخططاً لإنهاء المقاومة... ولا عودة إلى ما قبل 2 آذار 2026

أعلن الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم أنه لا عودة إلى ما قبل 2 آذار، وإن المقاومة ستقوم بكل ما عليها، وإن العدو سيخرج من الأراضي المحتلة. وتحدث قاسم في مجلس عاشوراء المركزي الذي يقيمه حزب الله عن المواجهة القائمة حالياً. وقال «إننا نمر في أخطر مرحلة في حياتنا في لبنان، وأخطر مشروع مؤامرة أميركية - إسرائيلية دولية، وأخطر ما يمكن أن يواجه بلدنا ومستقبل أطفالنا وأفكارنا» وعدد قاسم 12 نقطة من المخطط هي:

1- معركة إنهاء حزب الله عبر الحرب الإسرائيلية المجرمة على لبنان، والتي لا تراعي أي ضوابط بالقتل للمدنيين والأطفال، والتدمير، والقيام بكل بشاعات الإجرام في العالم، حتى تركع المقاومة. هذا مارسوه وكانوا قد أخذوا قرارته.

2- تراجع العدو وأميركا عن اتفاق 27-11-2024 بعد سقوط سوريا، لأنهم اعتبروا أن موازين القوى تغيرت، فلم يقبلوا بأن يسيروا على الخطة أو الاتفاق الذي حصل سابقاً بموازين القوى التي كانت موجودة.

3- عملوا على أن تكون السلطة السياسية في لبنان هي الواجهة والمظلة التي عبرها، وبمخالفة الدستور، تقوم بكل الأعمال الشنيعة التي تؤدي إلى مواجهة المقاومة وإسقاط المقاومة، مهما تطلبت النتيجة، لكن مطلوب من السلطة السياسية أن توفر الغطاء السياسي.

4- إقفال المعابر الجوية والبحرية والبرية لمنع وصول السلاح والتقنيات وكل ما من شأنه أن يقوي المقاومة.

5- منع الإعمار من أجل أن تبقى الناس مشردة ونازحة، وأن تنقلب بيئة المقاومة على المقاومة.

6- حصار مالي مطبق كي لا تتمكن من المعالجة وكي لا نتمكن من النهوض.

7- التحريض على فتنة الجيش ضدّ المقاومة، وعملوا كثيراً عليه، لكن الحمد لله وعي الجيش ووعي المسؤولين عنه، إضافة إلى الظروف الموضوعية جعلت هذه الفتنة تمر ولا تحصل.

8- الضغط على سوريا من أجل أن تتدخل من الشرق، وأن تحاول أن تكون كماشة هي وإسرائيل من الشمال، لكن الحمد لله النظام السوري لم يستجب.

9- عملوا على الفتنة السنية الشيعية تحت عنوان حماية موقع رئيس الحكومة بالقرارات التي سيأخذها ضد المقاومة، لكن الحمد لله كان الكل عاقلين، هذه الفتنة لم تمر.

10- وجود غطاء دولي عربي - من بعض الدول - يضغط بكل الاتجاهات لمصلحة إسرائيل ضدّ المقاومة بعناوين مختلفة وأشكال مختلفة.

11- كل مخابرات الدنيا تعمل علينا، توفر المعلومات، وتعمل في الدول المختلفة، وتحاول أن تسخر إمكاناتها، وتؤمن الغطاء الإعلامي والسياسي والضغط على الدولة اللبنانية لكي يحاصرونا.

12- وهو القيادة الأساسية، أميركا هي المايسترو لهذه الخطة بكل تفاصيلها في كل الاتجاهات، وتستخدم كل الإمكانات المتوفرة لها.

وقال قاسم «على فكرة، نحن نعرف كل هذا، ونتابعه، ونعرف الكواليس التي يقومون بها، والله يساعدنا بالخطوات التي تتطلب أحياناً الصبر، أو الجهاد، أو الإعلام، أو الحضور الاجتماعي والسياسي، ونقوم بما يقدرنا الله عليه. لكن هذا هو المخطط، مخطط كبير وخطير جداً».

في المقابل، أضاف قاسم أن المقاومة قامت بأمور كثيرة منها:

1- نحن عندنا هدف ومشروع قوي اسمه حقنا بالدفاع وتحرير الأرض، هذه قوة.

2- أعدنا النظر بالهيكلية العسكرية وطريقة الإدارة مستفيدين مما حصل في معركة «أولي البأس»، بما يتناسب مع المعركة الجديدة المحتملة.

3- عدّلنا في أساليب القتال، وعملنا العقيدة القتالية للمقاومة بما يتناسب مع الاستفادة من التجربة والظروف القائمة بعمليات الكر والفر وعدم الثبات في الأرض.

4- طوّرنا في إمكانات السلاح الملائمة والمسيرات، هذا كلّه ترتّب بعقول المجاهدين الموجودين عنا.

5- لدينا أعلى مستوى من بأس المجاهدين الاستشهاديين، وهو الأقصى، يعني الإنسان المجاهد، المقاوم عندنا شيء كبير كبير لا يوجد منه في التاريخ، لا يوجد منه في الحاضر، لا يوجد منه لو تلفّ الأرض بهذا المستوى العظيم الاستشهادي الموجود، هذا هو الأساس، وكل الناس على كل حال ترى.

6- عملنا على رعاية الوضع الاجتماعي لشعبنا على قدر استطاعتنا، وعلى قدر ما توفرت إمكانات وتبرعات وحقوق شرعية ودعم إيران، وكل هذه الأمور التي الحمد لله تعالى توفرت.

7- أمّنّا ترميم وإيواء لـ300 ألف عائلة في الوقت الذي كل هذا الحصار كان موجوداً، هذا أيضاً له علاقة بحماية بيئتنا ومجتمعنا.

8- حافظنا على وحدة القوى المقاومة، وحدة حركة أمل وحزب الله، وكل الشرفاء معنا، وكل شخص عمل بحسب القدرة الموجودة عنده، لكن الأساس أننا واحد، لا أحد يلعب بيننا، لعبوا كثيراً وحاولوا كثيراً ولم يستطيعوا والحمد لله تعالى.

9- رسمنا خطة طويلة الأمد، لم نقل أنه فلنجرب نصبر قليلاً غداً تنتهي، ونفسنا طويل ومستمرون.

10- اعتمدنا الغموض والصمت عند إعدادنا للمواجهة، ولا نزال، حتى لا يعرف العدو ماذا نعمل، على كل حال هم تفاجأوا بالذي حصل، وكل المحللين يقولون أشياء ثانية.

11- اتخذنا قراراً كربلائياً، أتعرفون ماذا يعني ذلك..؟ يعني أنه لا يوجد سقف، وهذا القرار الكربلائي لا يزال ساري المفعول.

12- صبرنا حيث يجب، وقاتلنا حيث يجب، خمسة عشر شهراً كان صبرنا قتالاً، وبعدها في 2 آذار أصبح قتالنا قتالاً، ولا عودة إلى ما قبل 2 آذار.

وختم بالقول «لقد سقط مشروع إسرائيل لإنهاء حزب الله، وسيخرج العدو من كل أرضنا».

(الأخبار)

الحرب الكونية ضد المقاومة

الضاحية تُلملِم رُكامها: هل تكون عودة النازحين نهائية؟

زينب حمود

لا يمكن وصف الحياة في الضاحية الجنوبية لبيروت بصورة واحدة. فالأوضاع تختلف بين منطقة وأخرى، وبين حي وآخر في المنطقة نفسها، وحتى في البناء نفسه، بحسب حجم الأضرار التي طاولت الأبنية، وظروف النازحين من هذه المناطق، وتقييمهم للوضع الأمني. لذا، قد تجد الأجواء طبيعية كما كانت عليه قبل الحرب في برج البراجنة، لجهة زحمة السير والمحال التجارية المفتوحة وعودة السكان إلى منازلهم بشكل دائم، من دون أي مظاهر لآثار الحرب، باستثناء الأضرار الناتجة عن الغارة التي استهدفت مبنى القرض الحسن في ساحة عين السكة، وغارة أخرى في حي المنشية.

في المقابل، تحاول حارة حريك التقاط أنفاسها، بعد تحمّلها النصيب الأكبر من العدوانية الإسرائيلية. فترى الجرافات تعمل على إزالة الركام، بالتوازي مع وصول عائلات من سكانها لتفقّد منازلها والعودة إلى الاستقرار فيها إذا ما كانت صالحة للسكن. وبالتزامن، باشر أصحاب بعض المحال المتضررة ورش الترميم، تمهيداً لإعادة فتحها.

إجمالاً، تعود الحياة تدريجياً إلى طبيعتها في الضاحية، ويجمع رؤساء بلدياتها أنه «في كل يوم نشهد عودة المزيد من العائلات»، مع ترجيحات أن يشهد الأسبوع المقبل عودة الكثيرين ممن انتظروا توقيع الاتفاق الإيراني - الأميركي، متأملين أن يُثبَّت وقف إطلاق النار في لبنان.

في حارة حريك، يقدّر رئيس البلدية زياد واكد ارتفاع نسبة العائدين من 10% بعد الهدنة في 17 نيسان، إلى 30% بعد الإثنين الماضي. ويشير إلى أن «المحال غير المتضررة تفتح أبوابها بشكل طبيعي، بينما تباشر بعض من المحال المتضررة جزئياً أعمال الترميم على نفقتها، محتفظة بالفواتير ريثما يتم صرف التعويضات».

ويروي موظف الأمن في مستشفى بهمن الذي يقع في المنطقة، كيف «هرعت الناس من منازلها» عندما وقعت الضربات الأولى في الأبنية الثلاثة المقابلة للمستشفى. فبقيت المنطقة «شبه مهجورة»، لا تقصدها سوى قلة من العائلات صباحاً لحمل بعض الأغراض والأوراق. غير أنه مع دخول الهدنة حيز التنفيذ، «بدأت الحارة تستقبل أبناءها، خصوصاً في الأيام الأخيرة، نظراً للتفاؤل الجماعي بأن وقف إطلاق النار حقيقي هذه المرّة، ولعدم قدرة النازحين على دفع بدلات إيجار إضافية».

الأمر نفسه ينطبق على مناطق أخرى كالكفاءات، المريجة، الليلكي وتحويطة الغدير. أما في برج البراجنة وحي السلم، فالعودة كانت أسرع، والحياة اليوم أكثر صخباً، علماً أن هاتين المنطقتين لم تشهدا نزوحاً كلياً، إذ بقي عدد من العائلات، ومنهم من استقبل نازحين من مناطق أخرى.

ليست هذه العودة الأولى إلى الضاحية. فكثيرون عاشوا تجربة النزوح ثم العودة أكثر من مرة خلال هذه الحرب، إذ كانت الضاحية تشهد حركة نزوح جماعية بعد كل تهديد أو استهداف، تنتهي مع عودة الهدوء نسبياً. لكن «الرجعة هذه المرة مختلفة»، عبارة تتكرر على لسان كثيرين. حسين، مثلاً، عاد إلى منزله في الحارة ثلاث مرات خلال الهدنة، لكن «هذه المرة حملت كل شيء من بيت النزوح، وسلمت المفتاح لأصحابه»، يقول لـ«الأخبار». كذلك، أفرغت مريم محفظة الطوارئ، لشعورها أن «رحلة التهجير قد انتهت».

في هذا الوقت، بدأت تنشط أعمال الترميم البسيطة في عدد من المنازل والمحال. بعد التوصل للاتفاق الإيراني - الأميركي، شعرت رؤى بـ«أمان أكثر مما كان عليه الوضع عقب حرب الـ 66 يوماً»، كما تقول. لذا، انتقلت إلى منزلها المتضرر، واشترت خزان مياه، ووضعت عازلاً بدلاً من

> **لا عوائق لوجستية، لكن الأضرار الكبيرة والعامل النفسي يعرقلان العودة**

الزجاج المكسور، إلى أن «نحصل على تعويضات أو يبدأ فصل الشتاء». كذلك، أنهى صاحب سوبرماركت في حارة حريك أعمال التنظيف والترميم قبل أسبوعين، ثم وجد الوقت ملائماً ليفتحه الإثنين الماضي. تسأله زبونة: «متى ستعيد بيع الخضر»، فيجيبها: «قريباً، عندما يعود سكان الحي وتزيد حركة البيع أكثر».

عموماً، ليس هناك عوائق لوجستية أمام الراغبين بالعودة إلى الضاحية، لجهة «إزالة الردم وفتح الطرقات فور وقوع الغارات، وردم الجور من مخلفات الحرب، إضافةً إلى توفر البنى التحتية بعد إصلاح أي عطل في مجاري الصرف الصحي ومتابعة شركتي المياه والكهرباء أي أعطال أمام المستخدمين، وعودة أصحاب المولدات ومقدمي خدمة الإنترنت إلى العمل»، بشرح رئيس بلدية المريجة - الليلكي - التحويطة روني سعادة. كذلك، باشرت البلديات عمليات مسح الأضرار. ويشير سعادة، في هذا الإطار، إلى «وقوع 15 غارة ضمن نطاق البلدية تسببت بهدم مبانٍ كلياً، إلى جانب عدد من الأبنية المتضررة». ويلحظ بالمقارنة مع الحرب الماضية «تراجعاً في حجم الدمار، الذي سجلته هذه الحرب».

من جهته، يتحدث واكد عن هدم 26 بناء في الحارة كلياً، يضاف إليها عدد من الأبنية التي تحتاج إلى كشف لتقدير مصيرها بين: هدم أو ترميم، واعداً بـ«إطلاق أعمال رصف الطرقات الأسبوع المقبل إذا ما تجاوبت معنا وزارة الأشغال العامة والنقل وأمّنت حاجتنا من (الزفت)».

لكن، هل يعني ذلك كله، أن العودة متوقفة فقط على قرار الأهالي؟ الجواب، ببساطة: «كلا». أولاً، بسبب الأضرار الكبيرة التي طاولت الأبنية، ما يعيق عودة السكان الدائمة. فجولة في حارة حريك وبئر العبد والجاموس، تظهر تراجع عدد الأبنية التي تهاوت مقارنةً بالحرب الماضية، لكن المفارقة في الضرر الواسع الذي تسببت به الغارات في الأبنية المحيطة في الجهات الأربع. إذا يمكن ملاحظة تهدم طوابق عليا، أو فجوات في وسط أبنية، مع تصدع أبنية ملاصقة، تبيّنه الشقوق في الأسقف، وظهور الحديد المسلح، عدا احتراق مبانٍ بكاملها، فضلاً عن تلف الأثاث فيها.

ثانياً، لا يمكن تجاهل العامل النفسي، والقلق من تدهور الوضع الأمني في أي لحظة، خصوصاً بعدما عاش أبناء الضاحية ما عاشوه طوال السنوات الثلاث الأخيرة. لذا، «يتريثون قبل الانتقال تماماً، ويترقبون الأوضاع، وحتى من عاد يضع خطة للنزوح ولا يزال يحجز مكاناً ليذهب إليه إذا ما تجدد العدوان»، يقول سعادة.

العودة إلى الضاحية ليست بهذه السهولة

زينب عوض

في الأيام الماضية شهدت الضاحية الجنوبية لبيروت عودة متسارعة للأهالي، بعد أن هُجرت أحياء، فيها بشكل شبه تام مع بداية العدوان الإسرائيلي في الثاني من آذار الماضي، إذ فرضت الغارات المعادية العشوائية وقعاً قاسياً من النزوح والخوف والترقّب. ومع «وقف إطلاق النار»، وإبرام التفاهم الأميركي - الإيراني، ازداد تدفّق العائلات النازحة للعودة إلى بيوتها، حتى وإن كانت هذه المنازل غير صالحة للسكن بشكل مباشر.

لم يكن الاتفاق الإيراني - الأميركي وحده هو ما أعاد الناس إلى الضاحية، فالحياة هناك بدأت تستعيد أنفاسها تدريجياً منذ تراجع توقّف الغارات اليومية عليها. شيئاً فشيئاً، عادت الشوارع إلى ازدحامها المُعتاد، وفُتحت أبواب المحالّ التجارية، ما ساهم في استعادة الأسواق جزءاً من حركتها اليومية. لكنّ هذه العودة لم تكن متشابهة في كل الأحياء. ففي مناطق مثل حي السلم والغبيري وبرج البراجنة، تبدو الحياة أقرب إلى إيقاعها السابق، فيما تبقى آثار الحرب أكثر حضوراً في حارة حريك والجاموس وشارع السيد هادي، حيث الأبنية المدمّرة وورش رفع الركام تفرض إقفال الطرقات، وتأخير عودة الناس.

اليوم، بين الخوف من تجدّد العدوان الإسرائيلي، وصعوبة تأمين مساكن بديلة، وارتفاع الإيجارات إلى مستويات غير مسبوقة في أماكن النزوح، يجد عدد كبير من أهل الضاحية أنفسهم أمام خيار واحد: «العودة مهما كانت الظروف». زهراء حمود نزحت مع عائلتها أثناء الحرب إلى الشمال، إلى قرية بحبوش تحديداً. تقول إن «منزلهم في حارة حريك تعرّض لأضرار كبيرة، لكن وبمجرّد إعلان الهدنة، عادت العائلة سريعاً إلى الضاحية، وإن لم يكن إلى منزلها مباشرة». حمود أقامت مع عائلتها في منزل شقيقها في منطقة برج البراجنة، بانتظار إصلاح البيت المتضرّر. تقول إن «خيار استئجار منزل جديد في ظل الارتفاع الكبير في أسعار الإيجارات لم يكن سهلاً». فبدلات الإيجار عادت لترتفع، وتبدأ من 700 دولار شهرياً، فيما يتجاوز بدل الإيجار في مناطق خارج الضاحية مبلغ ألف دولار شهرياً. لذلك، قرّرت حمود وعائلتها الانتظار، وتحمّل ضيق المساحة مؤقّتاً، ريثما يصبح المنزل صالحاً للسكن.

أمّا عايدة، فقصتها أكثر قسوة. منزل العائلة الأساسي في بئر العبد، في شارع دكاش، دمّره القصف الإسرائيلي بشكل تام. واليوم تعيش مع أهلها وشقيقتها في منزل مُستأجر في منطقة الشويفات. تقول: «إن العودة إلى الضاحية ليست خياراً مطروحاً حالياً، إذ لا مكان تعود إليه العائلة أساساً». من جهة ثانية تتكلّم عايدة عن ضيق الخيارات بسبب زيادة العبء المالي عليها، فإيجار المنزل يبلغ 650 دولاراً شهرياً، ويسبب الحرب أصبحت مسؤولة عن إعالة والديها، فضلاً عن أولادها الاثنين لأنّ منزل العائلة في مدينة الخيام الجنوبية دمّرته إسرائيل، والعائدات التي كانت تؤمّنها أملاك والدها في قرية بيت ياحون باتت معدومة. لذا، باتت هي المورد الأساسي للعائلة، ما يدفعها إلى المحاولة جاهدةً للبحث عن منزل أقل كلفة وأكثر ملاءمة.

وفي محلّة القائم، تبدو معاناة ميساء عبدالله امتداداً لصورة الضاحية. المنطقة التي تسكنها كانت من أكثر المناطق عرضة لإنذارات الإخلاء، والقصف العادي. إحدى الغارات العنيفة التي استهدفت الحي خلّفت دماراً واسعاً، وألحقت أضراراً كبيرة بعدد من المباني، بينها مبنى منزل عائلتها. بحسب التقديرات الأولية، فإن «العودة إلى المنزل قد لا تكون ممكنة قبل ستة أشهر أو ربما سنة كاملة»، تقول ميساء. لهذا، اضطرت العائلة إلى البحث عن بدائل صعبة. لجأت إلى منزل شقيقها في محلّة الجاموس، وعلى الرغم من أن المنطقة بدورها ليست بعيدة عن دائرة الخطر.

لم يكن المنزل مُجهّزاً بالكامل، لكنه بدا الخيار الأقل كلفة مقارنةً بالإيجارات المرتفعة، تقول، إضافة إلى طلب بعض أصحاب المنازل دفعات مُسبقة للإيجار وسلفاً مُرهِقة. تؤكد ميساء أنّ «الأموال التي كانت ستُدفع للإيجار باتت تُصرف اليوم في تجهيز المنزل وتأمين الحدّ الأدنى من مقوّمات الحياة». في الحرب، أقامت العائلة في قرية الشبانية، في منطقة بعيدة نسبياً عن بيروت. بالنسبة إليها، كانت المسافة وحدها عبئاً يومياً، إذ يتطلّب الوصول إلى بيروت ما لا يقلّ عن 30 إلى 40 دقيقة، في رحلة مُرهِقة ومُكلفة. ازداد استهلاك الوقود، وصار أبسط التفاصيل اليومية يحتاج إلى تخطيط مُسبق، خصوصاً أن التنقّل من دون سيارة كان شبه مستحيل.

النازحون يُبقون باب النزوح مُوارَباً

روى قاسم

لم يعد النزوح بالنسبة إلى أهالي الضاحية الجنوبية تجربة طارئة، بل تحوّل إلى جزء من حسابات الحياة اليومية بعد ثلاث حروب واعتداءات متكررة في ما بينها. وبين من عاد سريعاً إلى منزله فور الإعلان عن مذكّرة التفاهم الأميركية - الإيرانية، ومن أبقى باب النزوح مفتوحاً تحسباً لأي تطور أمني، تتفاوت المقاربات، فيما يجمع الجميع على التمسك بالعودة إلى الضاحية كلّما سنحت الفرصة.

في حديث مع «الأخبار»، تقول خديجة، التي عادت إلى منزلها في منطقة الرويس، في محيط مجمع سيد الشهداء، صباح وقف إطلاق النار الأخير، إنها على الرغم من كونها نازحة إلى منزل ثانٍ تملكه في بشامون، وهو مُجهّز بجميع مقوّمات الحياة، تفضّل العودة سريعاً إلى الضاحية بسبب موقعها الحيوي وقربها من مكان عمل زوجها ومدارس أولادها، على أن تعود إلى مكان نزوحها في حال حصول أي تطوّر أمني.

تلفت خديجة إلى أنها تحيّنت فترة الهدوء النسبي في الضاحية في الفترة السابقة، إذ كانت تتردّد إلى منزلها وتعمل على تنظيفه وترتيبه، وإغلاق فتحات الزجاج بالنايلون، لكي تكون جاهزة للعودة مباشرة عند وقف إطلاق النار، على الرغم من الدمار الكبير الذي لحق بمحيطه. بدورها، تقول ابتهاج ممازحة، وهي نازحة إليه في منطقة خلدة. واليوم، يعمل على تأمين منزله وتأمين مقوّمات الحياة الأساسية فيه، على أن يستقر مع عائلته فيه الأسبوع المقبل، أو «عندما تتضح الأمور»، يقول. لكنه لا يخفي فرحته بعودة الحركة إلى الضاحية مع «وقف إطلاق النار» الأخير، ما انعكس إيجاباً على عمله أيضاً.

في المقابل، يبرز تصرف احترازي آخر لجأ إليه النازحون عن الضاحية الذين اضطروا إلى استئجار منازل خارجها، إذ فضّل هؤلاء التريّث في العودة إلى حين استحقاق إيجار الشهر الجديد. يروي وسام أنه دفع مع بداية الشهر الحالي إيجاراً مُسبقاً عن شهرين لمنزل نزح إليه في منطقة الحازمية. لذا فإنه لن يعود في الوقت الحالي إلى الضاحية، بانتظار اتضاح «الصورة الأمنية»، أولاً، على أن يعمل في هذه الفترة على ترميم منزله وتهيئته للسكن، مؤكداً، في الوقت نفسه، أنه لا مفرّ من التردّد إلى المنطقة يومياً.

على المقلب الآخر، حسمت فاطمة، وهي من سكان منطقة الغبيري، خيارها بالعودة الفورية إلى الضاحية، خصوصاً أن منزلها لم يصبه أيّ ضرر، سواء من تحطّم الزجاج أو من غيره. غير أنها امتنعت عن تسليم مفتاح المنزل الذي استأجرته مقراً للنزوح في منطقة عائشة بكار في الوقت الحالي، حتى بداية الشهر المقبل، من باب الاحتياط فقط، كما تقول.

في الخلاصة، يدرك سكان الضاحية الجنوبية أن تمسكهم بهذه الرقعة الجغرافية، التي تشكّل حاضنة للمقاومة، ثمناً سيدفعونه بين حين وآخر. لذلك، بات كثيرون منهم يتعاملون مع وجود مساكن بديلة بوصفها شبكة أمان تُفعّل عند الحاجة. وبالطبع، كلّما كانت هذه المساكن أقرب إلى الضاحية، كان ذلك أفضل.

> **يعرب النازحون من الضاحية عن عدم اطمئنانهم لـ«وقف إطلاق النار» لذا لا يغامرون بترك المنازل المُستأجرة خارجها**

جارة خديجة في بشامون، إن وجهها كان «نحساً» على الضاحية، إذ إنها في المرات الثلاث التي قرّرت فيها العودة إلى منزلها في محلة المريجة، تعرّضت الضاحية لاعتداءات في الليلة نفسها أو في اليوم التالي، ما دفعها إلى النزوح نحو منزل في بشامون كان قد اشتراه ابنها بعد الحرب السابقة. وعلى عكس خديجة، تعرب ابتهاج عن ثقتها بأن الحرب قد انتهت، على الأقل في الضاحية، إنّما من دون أن تعرب عن استعدادها للتخلّي تماماً عن المسكن الثاني في بشامون.

أمّا علي، وهو سائق تاكسي من سكان منطقة برج البراجنة، فيقول إنه كان يقصد الضاحية في الفترة السابقة بهدف العمل، إذ إنها المنطقة التي اعتاد نقل الركاب منها. وأثناء عمله يتفقّد منزله ويقضي بعض الوقت فيه ويأخذ ما يحتاج إليه من أغراض، قبل أن يعود ليلاً إلى منزل

تحوّل النزوح إلى جزء من حسابات الحياة اليومية (عروان بو حيدر)

مقالة

أمّهات الشهداء ورايات عاشوراء

عمر نشابة

في كل عام، تحلّ ذكرى عاشوراء حاملةً معها معاني التضحية والصبر والثبات على الحق، لكنّها هذا العام تبدو أكثر التصاقاً بوجدان اللبنانيين في الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية لبيروت. لا تبدو عاشوراء مجرّد مناسبة دينية أو ذكرى تاريخية، بل أصبحت جزءاً من الحياة اليومية لشعب اختبر بنفسه معنى الفقد والألم والصمود.

لقد مرّت على هذه المناطق أيام وأشهر وسنوات ثقيلة من الاعتداءات الإسرائيلية التي حصدت أرواح الأحبّة والأبناء والإخوة والأقارب، وخلّفت آلاف الجرحى ودمّرت القرى والبلدات والأحياء السكنية وجرفت البيوت والأرزاق والذكريات. وما زالت الاعتداءات مستمرة، وما زالت عائلات كثيرة تعيش انتظار أبنائها المفقودين أو المُختطفين.

لا يقتصر الأمر على آثار العدوان الماضية، إذ إن العدوان الإسرائيلي على لبنان ما زال مستمراً حتى اليوم. فالطائرات الحربية والمُسيّرات الإسرائيلية لا تزال تستبيح الأجواء اللبنانية بشكل شبه يومي، من الجنوب إلى البقاع وصولاً إلى بيروت، ناشرةً في السماء أصوات التهديد الدائم بالقتل والقصف والدمار. ومع ذلك، وفي مشهد يختصر معنى الصبر والثبات، لا تتردّد أمّهات الشهداء وذووهم وأصدقاؤهم وأبناء بيئة المقاومة في إقامة المجالس العاشورائية وإحياء الليالي الحسينية رغم كل المخاطر. بل إن كثيرين منهم يصرّون على توزيع الطعام على الفقراء والمحتاجين عن أرواح الشهداء، وكأنهم يواجهون آلة الحرب والعدوان بفعل العطاء والتكافل والإيمان. وبينما تحلّق المُسيّرات فوق الرؤوس، تستمر المواكب والمجالس والحسينيات في أداء دورها الاجتماعي والإنساني، مؤكّدة أن ثقافة الشهادة لا تقتصر على التضحية في ساحات المواجهة، بل تمتد إلى خدمة الناس والتمسّك بقيم الرحمة والتضامن في أصعب الظروف.

في قلب هذه المعاناة تنتشر المَضافات وخيم العزاء، ومجالس الذكر والصلاة على طرقات الضاحية والجنوب والبقاع. ترتفع الرايات السود والحُمر، وتصدح مُكبّرات الصوت بذكر الإمام الحسين وأهل البيت الذين واجهوا الظلم ولم يساوموا على الحق. وإلى جانب شعارات الإمام الحسين والسيدة زينب وأبي الفضل العباس، ترتفع صور الشهداء من أبناء هذه الأرض، أولئك الذين انضموا إلى أهل البيت تاركين خلفهم أمهات وآباء وأطفالاً وأحلاماً مُعلّقة على جدران المنازل.

وفي كثير من الأحيان، يتداخل صوت المجالس الحسينية مع أزيز المُسيّرات الإسرائيلية التي تواصل انتهاك الأجواء اللبنانية، فيتحوّل إحياء عاشوراء إلى فعل تحدٍّ يومي يؤكّد أن الخوف لا يستطيع إخماد ذاكرة الشهداء ولا كسر إرادة الأحياء.

في عيون الأمهات الثكالى حكايات لا تنتهي. صور الأبناء، في الساحات ليست مجرّد صور، بل شواهد على تضحيات في مواجهة الظلم والاحتلال والعدوان. ومع ذلك، فإن كثيراً من الأمهات يجدن في سيرة الحسين وأهل البيت عزاءً لا يشبه أيّ عزاء. فحين يصبح الشهيد جزءاً من مسيرة الحق التي يمثّلها الحسين، يتحوّل الحزن إلى صبر، وتتحوّل الدموع إلى قوة تمنع الانكسار.

ولعلّ أكثر ما يلفت النظر في هذه البيئة التي أمتها الجراح هو قدرتها المُذهِلة على النهوض من تحت الركام. فهنا، في الضاحية الأبية الشامخة رغم كل ما أصابها، عاد الطلاب إلى مدارسهم وجامعاتهم يحملون كتبهم وأحلامهم. وعاد العمال إلى ورش البناء والإنتاج. وعاد الموظفون إلى مؤسساتهم التجارية والصناعية والسياحية. وعادت الحياة، لا لأن الجراح التأمت، بل لأن أصحابها قرّروا ألّا يسمحوا للجراح أن تهزمهم.

إنه انتصار من نوع آخر: انتصار الإنسان على الألم، وانتصار الإرادة على الخوف. فالمقاومة ليست فقط في ساحات المواجهة، بل أيضاً في القدرة على الاستمرار، وفي التمسّك بالحياة رغم الدماء والدمار والألم. المقاومة هي أمّ تواصل تربية أبنائها بعد استشهاد زوجها أو ولدها، وطالب يفتح كتابه ليدرس رغم تهديد العدو الإسرائيلي لبيته ومدرسته وقريته، وعامل يعيد بناء ما هُدّم وهو يعلم أن العدوان الصهيوني قد يعود في أي لحظة.

من هنا تبدو عاشوراء، أكثر من مجرّد ذكرى، إنها مدرسة يومية يتعلّم منها الناس معنى الصبر والثبات وعدم التراجع عن القيم والمبادئ. فكما وقف الحسين في كربلاء، رافضاً الاستسلام للظلم، يقف كثيرون اليوم متمسّكين بحقّهم في أرضهم وكرامتهم وحياتهم، مهما بلغت التضحيات.

لقد أثبت أهل الجنوب والبقاع والضاحية أن القوة الحقيقية ليست في القدرة على القتال فقط، بل في القدرة على الصبر. والصبر ليس استسلاماً للألم، بل هو رفضٌ لأن يتحوّل الألم إلى هزيمة. إنه صبر يصنع الأمل من بين الأنقاض، ويعيد بناء الحياة فوق الركام، ويحفظ للمجتمع تماسكه وثباته على الحق رغم حجم الخسائر.

هذا الشعب الجبّار، الذي حمل أوجاعه ومشى بها إلى أعماله ومدارسه وجامعاته ومساجده وحسينياته، يستحق الحياة حقاً. يستحقّها لأنه لم يسمح للمعاناة أن تسلبه إنسانيته، ولم يسمح للدمار أن يقتل إرادته، ولم يسمح للخوف أن يبدّل قناعاته أو يدفعه إلى التخاذل أو التردّد والتبدّل.

لجبهة الوطنية لإنقاذ لبنان

صدر عن لجبهة الوطنية لإنقاذ لبنان اعلانا حول التطورات القائمة جاء فيه:

في خضمّ الصراعات العاتية التي تجتاح منطقتنا، وبعد الحرب التي شنّتها الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بنتائجها المعروفة، شاءت الظروف أن يتقدم لبنان ليكون الساحة الرئيسية لهذه الصراعات، مع ما يرتبه ذلك عليه من أعباء وتحديات، بصرف النظر عن المواقف المتباينة، وأحياناً المتضاربة، في الداخل اللبناني، فمما لا شك فيه أن العمل على تجنيب لبنان تداعيات هذه الصراعات التي تهدد نسيجه ووجوده، هو مسؤولية وطنية يجب أن يتحلى بها المواطنون كافةً، خصوصاً أولئك الموجودين في مواقع السلطة.

حقيقتان مُفجعتان يجب التوقّف عندهما، وهما:

أ- تحلل الدولة في لبنان، وعلى جميع الصعد، السياسية والمؤسساتية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية.

ب- تزايد عمق الانقسامات الداخلية، وأثرها الخطير على المجتمع، ما يولد بيئة مثالية لاندلاع حرب أهلية.

لهذه الناحية بالتحديد، تتحمل السلطة السياسية كامل المسؤولية. فهي بإقدامها على مفاوضات مباشرة مع العدو، تتجاوز فيها الجانب العسكري والأمني، أي وقف الحرب وانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة، إلى المجالات السياسية والاقتصادية، فإنها تلقي بكرة من اللهب على الانقسامات الداخلية، ما يهدد السلم الأهلي ويدفع لبنان إلى أتون الحرب الأهلية من جديد. في الحقيقة فإنها بهذه المفاوضات تعطي «شرعية» للاحتلال الإسرائيلي عوضاً عن أن تعمل على إزالة الاحتلال.

في ضوء ما تقدم يدعو الموقعون على هذا الإعلان إلى:

1- وقف المفاوضات المباشرة مع إسرائيل برعاية الولايات المتحدة الأميركية، وحصر التفاوض غير المباشر في مسألتي الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي اللبنانية والوقف الشامل للحرب على لبنان.

2- عدم البحث في أيّ مسألة خلافية أخرى قبل حل هاتين المسألتين.

3- عدم الاعتراف بأيّ اتفاقات تنتج من المفاوضات المباشرة مع إسرائيل.

تقرير

الحاج يُفصّل وظائف في «الخلوي» على قياس مستشاريه

زينب بزي

أثار تعيين مستشار وزير الاتصالات شارل الحاج، جوزف أبو رجيلي، في منصب «مدير استراتيجي» في شركة «ألفا»، موجة اعتراضات واسعة بين موظفي قطاع الخلوي، بعدما تبيّن أنّ راتبه يفوق بأضعاف رواتب عدد كبير من الموظفين الذين أمضوا سنوات طويلة في شركتي الخلوي وهيئة «أوجيرو». ورأى الموظفون في هذه الخطوة تكريساً لسياسة تقوم على توسيع دائرة المستشارين واستحداث مواقع جديدة كما فعل وزراء اتصالات سابقون، في وقت لا تزال فيه تعويضاتهم ومستحقاتهم المالية معلّقة بحجة عدم توافر الأموال.

لا يقتصر الأمر على تعيين أبو رجيلي. فبحسب معلومات مصدرها عاملون في القطاع، سُجّل حركة نشطة لتوقيع عقود عمل جديدة في الشركتين مع موظفين بعقود حرّة وبرواتب مرتفعة تتجاوز في بعض الحالات رواتب موظفين حاليين من الرتبة نفسها، كما كان الوزير الحاج على وشك تعيين مستشار آخر في شركة «تاتش» قبل أن تؤدي الاعتراضات على تعيين أبو رجيلي إلى إرجاء هذه الخطوة. أيضاً يجري العمل على توصيف وظيفة مدير جديدة داخل شركة «ألفا» يفضل على قياس موظف في إحدى الشركات العالمية العاملة في قطاع الاتصالات، وبراتب يتجاوز خمسة آلاف دولار شهرياً. علماً بأن هذا الوزير كان قد اتخذ قراراً بتعديلات وظيفية قيادية في الشركتين بحجّة الرواتب المرتفعة. ويتزامن ذلك مع التحضير لتوصيف ثلاثة مواقع إضافية مرتبطة إدارياً بمنصب الرئيس التنفيذي للتدقيق الداخلي في شركة «تاتش»، والذي يعمل الوزير الحاج، وفق المعلومات، على تعيين مستشاره دائي دويك فيه.

وفي هذا الإطار، يجري العمل على استحداث فريق إداري يواكب هذا المنصب، في خطوة يُنظر إليها على أنها محاولة لإعادة طرح الملف بصيغة مختلفة، بعدما أثارت جدلاً واسعاً عند طرحها للمرة الأولى.

إذاً، الأمر لا يقتصر على توظيف واحد، بل إنشاء فريق إداري كامل يواكب قرارات الوزير داخل المؤسّسات التابعة للوزارة قبل إطلاق مناقصة تلزيم إدارة القطاع، ما يفتح الباب أمام تساؤلات إضافية عما إذا كان الوزير يعمل من أجل تفصيل المناقصة على قياس جهة ما، أو شريك ما. فإذا كانت الوجهة المعلنة هي تقليص دور الدولة وإعادة هيكلة المؤسّسات، فما الحاجة اليوم إلى استحداث مواقع جديدة وتوسيع البنية الإدارية؟

ويكتسب هذا الاعتراض بُعداً إضافياً في ظل استمرار العمل بالقيود المفروضة على التوظيف في القطاع العام، إذ لا يُسمح بإجراء تعيينات جديدة إلا بصورة استثنائية وبعد موافقة مجلس الوزراء واستناداً إلى حاجات مثبتة. وهو ما يطرح تساؤلات حول الأسباب التي تدفع الوزارة إلى توسيع هيكليتها الإدارية في هذه المرحلة، في وقت يُفترض أن تكون الأولوية لترشيد الإنفاق وإعادة تنظيم القطاع.

كما تثير هذه الخطوات اعتراضات واسعة داخل شركتي الخلوي، إذ يشير موظفون إلى أنّ عدداً كبيراً منهم أمضى أكثر من عشرين عاماً في الخدمة، ويتقاضى رواتب تتراوح بين ألف وألفي دولار، وكان ينتظر فرصاً قانونية للترقية وتسلّم مواقع قيادية بحكم خبرته وأقدميته، قبل أن يجد نفسه أمام مسار جديد يمنح الأولوية لاستقدام أسماء من خارج الملاك الإداري.

> **ما يجري اليوم داخل قطاع الاتصالات يبدو كمشروع تثبيت نفوذ بدلاً من الإصلاح الموعود**

وتشير لوائح الموظفين إلى وجود كوادر كانت تُعتبر مرشحة بصورة طبيعية للتدرج الوظيفي والترقية، الأمر الذي يفتح الباب أمام تساؤلات إضافية حول أسباب تجاوز أصحاب الخبرة والكفاءة داخل المؤسسات نفسها. كما يُحكى عن اعتبارات مرتبطة بالتوازنات الطائفية لبعض المواقع المطروحة، ما يزيد من حدة الاعتراضات داخل القطاع.

هذه التطورات دفعت نقابة موظفي ومستخدمي شركتي الخليوي إلى التحرّك مجدداً. إذ زار وفد برئاسة النقيب مارك عون رئيس مجلس إدارة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي بالتكليف، غازي يحيى، لمتابعة ملف دفع التعويضات المستحقة للموظفين الذين تقدّموا بطلبات صرفها وفقاً للأصول القانونية. وخلال اللقاء، شدّد يحيى على أحقية المباشرة الفورية بدفع هذه التعويضات من دون أي تأخير أو مماطلة، مؤكداً أن القانون يتيح لأصحاب العمل تسديد المستحقات وتقسيطها وفق آليات واضحة وميسّرة، وأنه لا يجوز ربط حقوق الموظفين بمشاريع قوانين لا تزال قيد الدرس أو الإقرار. وبذلك، سقطت عملياً إحدى أبرز الذرائع التي استُخدمت خلال الفترة الماضية لتبرير تأخير صرف التعويضات، إذ تبيّن أن لا وجود لأي مانع قانوني يحول دون دفعها، حتى في حال اعتماد آلية التقسيط. وهو ما أعاد طرح سؤال أساسي داخل القطاع: إذا كانت الحلول القانونية متوافرة، فلماذا تستمر المماطلة في دفع حقوق الموظفين؟

وتزامناً مع تصاعد الاعتراضات داخل القطاع، أعلنت النقابة العامة في هيئة «أوجيرو» الإضراب العام والشامل والتوقف عن العمل يوم الثلاثاء المقبل، احتجاجاً على استمرار التأخير في إقرار الاعتماد الإضافي المخصص لتغطية فروقات الرواتب ومستحقات الضمان الاجتماعي العالقة منذ عام 2024. واعتبرت النقابة أنّ هذه الأموال «ليست منّة ولا مكرمة ولا مساعدة استثنائية، بل حقوق مكتسبة»، محمّلة الإدارة والوزارة والحكومة والجهات المالية المعنية مسؤولية دفع قطاع حيوي نحو مزيد من التأزم بسبب استمرار المماطلة في دفع حقوق العاملين فيه.

ولا تقتصر الاعتراضات على ملف التعويضات والمستحقات فحسب، إذ يشكو الموظفون أيضاً من حرمان عدد منهم من الزيادات السنوية، في وقت تُفتح فيه أبواب التوظيف الجديدة وتُستحدث مواقع استشارية ورواتب مرتفعة، ما يكرّس شعوراً متزايداً بازدواجية المعايير داخل القطاع.

لهذه التطورات أبعاد إضافية وسط ما يُتداول عن أن وزير الاتصالات شارل الحاج أبلغ رئيس الجمهورية جوزيف عون نيته الاستقالة، قبل أن يُطلب منه التريّث في اتخاذ هذه الخطوة. وإذا صحّت هذه المعطيات، فإنها تفتح الباب أمام تساؤلات مشروعة حول أسباب الاستعجال الذي يطبع أداء الوزارة في هذه المرحلة. فإذا كانت الولاية الوزارية نفسها موضع نقاش، يصعب فهم الحاجة إلى تثبيت هذه التعيينات والتوصيفات الإدارية الآن.

يطرح متابعون للقطاع تساؤلات حول ما إذا كان الهدف هو ترك بصمة إدارية دائمة وتثبيت مراكز نفوذ وآليات تأثير تضمن استمرار حضور الوزير داخل الإدارة، حتى في حال حصول أي تبدّل سياسي أو إداري في المرحلة المقبلة. وينسحب الأمر نفسه على ملف «ستارلينك»، الذي أثار منذ البداية علامات استفهام واسعة بسبب السرعة التي أُنجز بها، في وقت يرى فيه متابعون للقطاع أن الحاجة إليه لم تكن ملحّة، ولا سيما أن لبنان كان قد بدأ فعلياً مساراً آخر يتعلق بتطوير شبكات الاتصالات والانتقال إلى خدمات الجيل الخامس (5G) وهو ما يدفع إلى طرح سؤال إضافي: لماذا هذا الاستعجال في إقرار ملف لا يبدو أولوية في الوقت الراهن، فيما تبقى ملفات أكثر إلحاحاً، كصيانة الشبكة وتسديد حقوق الموظفين وتعويضاتهم، معلّقة بلا حلول؟

هكذا، لم تعد القضية بالنسبة إلى الموظفين مجرّد ملف تعويضات أو اعتراض على بعض التعيينات، بل تحوّلت إلى اعتراض مباشر على السياسة التي يعتمدها وزير الاتصالات وعلى النهج الذي تتبنّاه الحكومة تحت عنوان الإصلاح. فبينما يُطلب من الموظفين تفهّم شحّ الموارد المالية وتأجيل حقوقهم المكتسبة، تُفتح الأبواب أمام المستشارين واستحداث المواقع الجديدة وتوسيع البنية الإدارية برواتب مرتفعة، في مشهد يعكس انقلاباً واضحاً في سلّم الأولويات.

في المحصّلة، يصعب التعامل مع ما يجري بوصفه جزءاً من مشروع إصلاحي. فحكومة ترفع شعار الإصلاح لا يمكن أن تبدأ بإعادة إنتاج منطق المحاصصة وتوسيع دائرة النفوذ داخل المؤسسات العامة، ولا أن تمنح الأولوية لتثبيت المقرّبين فيما يبقى أصحاب الخبرة والكفاءة والحقوق المكتسبة في موقع المنتظر. وما يجري اليوم داخل قطاع الاتصالات لا يبدو مشروع إصلاح بقدر ما يبدو مشروع تثبيت نفوذ داخل مرفق عام كان يُفترض أن يكون أحد أبرز عناوين الإصلاح الذي وعدت به الحكومة.

(هيثم الموسوي)

◄ إعلانات رسمية ►

إعلان

صادر عن دائرة تنفيذ بيروت القاضي رشا إبراهيم

يُبلغ إلى المُنفذ عليهم: نهاد وغازي وناصر وعماد العسراوي مجهولي محل الإقامة عملاً بأحكام المادة /409/ ا.م.م. تُنبئكم دائرة تنفيذ بيروت بأن لديها في المُعاملة التنفيذية رقم 2015/2052 سنداً تنفيذياً مُوجهاً إليكم من طالب التنفيذ كلود شلهوب بوكالة المُحامي ريشار نخله، ناتجاً عن طلب تنفيذ الحُكم الصادر عن محكمة التمييز المدنية في بيروت برقم 2012/31 تاريخ 2012/3/22 لجهة ترقين إشارة الدعوى عن الصحيفتين العينيتين للعقارين رقم /10/ و/1279/ من منطقة تعلبايا العقارية.

وعليه تدعوكم هذه الدائرة للحُضور إليها شخصياً أو بواسطة وكيل قانوني لاستلام الإنذار التنفيذي والأوراق المُرفقة به، علماً أن التبليغ يتم قانوناً بانقضاء مُهلة عشرين يوماً على نشر هذا الإعلان، وعلى تعليق نسخة عنه على لوحة الإعلانات لدى دائرة تنفيذ بيروت، وبعد انقضاء هذه المُهلة ومُهلة الإنذار التنفيذي البالغة خمسة أيام يُصار إلى مُتابعة التنفيذ بحقكم أصُولاً حتى آخر الدرجات.

مأمور تنفيذ بيروت
علي حمزة

كلمات متقاطعة 5109

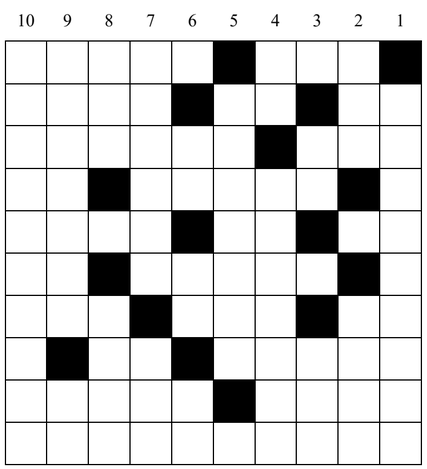

أفقيا

1- من الحشرات – من أسماء الأسد – 2- تنشق – واحد بالأجنبية – بطيخ أصفر – 3- يُصلح البناء – مربط السفن – 4- عائلة طبيب فرنسي راحل إشتهر بأبحاثه على الأمراض العصبيّة – للندبة – 5- للمساحة – نعام – مُخرج ما في ضرع البقرة من لبن – 6- جميلة – أنت بالأجنبية – 7- شركة نفط – ثاكل – نهر في فرنسا من روافد السين – 8- من أسماء العين – عملة آسيوية – 9- أصرح – البطن الكبير – 10- منطقة في مدينة طرابلس

عمودياً

1- صفة شخص يتمتع بوسامة لافتة وحضور قيادي – 2- من الحيوانات – ماركة سيارات – 3- مصّ العظم – قويّ ومتين – 4- للتمنّي – النمسا بالأجنبية – 5- آلة يُدخّن بها التبغ – 6- خاصتك – جنون – قادم – 7- عاصمة أوروبية – من أسماء الفولاذ – 8- مادة دهنية من الحليب – حضارة استقرت في بيرو – 9- مارشال إيطالي ورئيس الوزراء بعد سقوط موسوليني – دقّ الجرس – 10- شاعر سوري راحل عمل في السلك الدبلوماسي

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- فكتوريا – رخ – 2- أيا صوفيا – 3- رومولس – لحد – 4- ست – لفحهم – 5- اودي – اورغ – 6- هنزادا – 7- خنزير – ب ب – 8- وا – أمحَ – طرد – 9- بل – حيوان – 10- يعقوب – منسي

عمودياً

1- فارس الخوري – 2- كيوتو – نا – 3- تام – درز – بق – 4- وصولي – يالو – 5- رولف – هرم – 6- يفسحان – جح – 7- اي – هوْزب – يم – 8- المرابطون – 9- غد – راس – 10- خلدة – اردني

sudoku 5109

3	6	2	9		8		7	4
7		5						
						9		
2	5			4	3		1	
	1						8	
	3		6	7			5	9
		6						
						1		6
9	8		7		2	3	4	5

حلول الشبكة السابقة

8	7	6	1	4	2	9	5	3
4	1	9	3	7	5	8	6	2
3	2	5	8	9	6	4	1	7
6	3	8	4	1	7	2	9	5
7	4	2	9	5	8	1	3	6
5	9	1	6	2	3	7	8	4
2	8	4	5	3	1	6	7	9
1	5	7	2	6	9	3	4	8
9	6	3	7	8	4	5	2	1

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

كلمة السر 406

كلمة السر من 6 حروف: من الأنهار الآسيوية

اللبطاني – ابراوادي – الفرات – الجوز – السند – امور – اوب – بياسينا – بحر – شط – عرقا – كالادان – كوليما – ماهاكام – ميكونغ – موسي – مد – نهر – ينسي

ا	ل	ف	ر	ا	ت	ب	م	ر	ا		
ا	ي	س	ن	ي	و	و	و	م	ل		
ن	ي	م	ل	ا	س	م	د	ا	ل		
ا	ك	د	ي	ي	ا	ن	ن	ه	ي		
د	و	ا	ا	ك	غ	ه	س	ا	ط		
ا	ل	ل	ر	و	و	ر	ل	ك	ا		
ل	ي	ج	ح	م	ا	ن	ا	ا	ن		
ا	م	و	ب	د	ا	ر	غ	م	ي		
ك	ا	ز	ع	ر	ق	ا	ي	ن	ش		
ج	ب	ي	ا	س	ي	ن	ا	ا	ط		

حلول الشبكة السابقة: البرجين

عملية حسابية 406

شروط اللعبة: ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	X		X	2	=	70
X	■	X	■	X	■	
	+		٪		=	3
٪	■	–	■	X	■	
4	X		X		=	96
=	■	=	■	=		
15		59		84		

حلول الشبكة السابقة

83	–	18	٪	5	=	13
+	■	X	■	X	■	
1	X	4	X	7	=	28
٪	■	٪	■	X	■	
6	X	8	٪	2	=	24
=	■	=	■	=		
14		9		70		

شبكة العنكبوت 406

إعداد نعوم مسعود

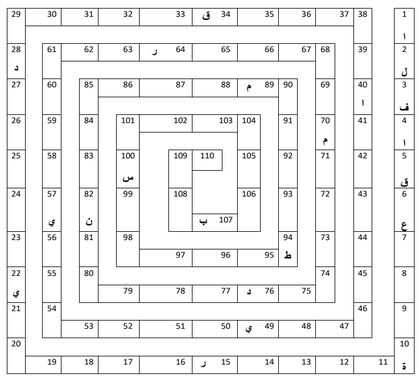

1 – 6 اللون الصافي الناصع
5 – 15 بلدة لبنانية في قضاء النبطية
14 – 18 من أسماء الذئب
17 – 28 صحيفة عربية
28 – 31 عملة عربية
30 – 40 زعيم قرطاجي والد هنيبعل
39 – 49 عسكري ايراني قائد فيلق القدس حتى استشهاده
47 – 57 شاعر زجل لبناني راحل
56 – 64 احدى ليالي شهر رمضان
63 – 70 ممثل سوري قدير
69 – 76 رئيس لبناني سابق
75 – 78 صفة تُطلق على الحمل
78 – 82 احدى الإمارات العربية المتحدة
80 – 86 من احياء مدينة نيويورك الاميركية
85 – 97 حالة ذهنية طبيعية من الإسترخاء والتركيز الشديد يُستخدم كاداة علاجية
96 – 103 مدينة مصرية في محافظة كفر الشيخ
103 – 108 خطيب الثورة الفرنسية
107 – 110 حكيم هندي اسس مذهباً عُرف باسمه

حل شبكة العنكبوت السابقة

كرة القدم – موسكو – كوريا – ياسمين – مينسك – سكر
نبات – اتاري – ريمون بار – بارك اوباما – مالابو – بول مكارتني – نيكولا الثاني – نيتشه – هتشكوك – كوراساو – اورانيوم – مول – الولايات المتحدة الاميركية

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمّة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5109

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مفكّر سوداني (1909- 1985). من مؤلفاته « رسالة الصلاة »

1+10+11+3 = جواد سمين ■ 2+5+4+9 = فاصل بين دولتين ■ 6+10+8+7 = توق ومبتغى

حل الشبكة الماضية: جوزيف سنالين

الحرب الكونية ضد المقاومة

تأييد جماعي لخطوط المرشد الحمر
أميركا - إيران: تأخير لا ينسف المفاوضات

صنعاء: «اليد على الزناد» لموازرة لبنان

صنعاء - **رشيد الحداد**

تعليقاً على خرق العدو الإسرائيلي اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان، وتهديد وزير «الأمن القومي» الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، بـ«إحراق لبنان»، أكد مصدر سياسي مطّلع في صنعاء، لـ«الأخبار»، أن يد «صنعاء لا تزال على الزناد»، وأن «قواتها لا تزال في حال استعداد وجاهزية للمشاركة في صدّ العدوان على لبنان وعلى محور المقاومة بشكل عام». ورأى المصدر أن هذا العدوان، الذي سقط فيه عشرات الشهداء والجرحى، «يأتي في إطار جسّ النبض ومعرفة ردّ محور المقاومة»، واستبعد التزام العدو باتفاق وقف إطلاق النار خلال المدة القادمة، معتبراً أن «الضمان العملي لوقف هذه الخروقات التي يمكن أن تتكرّر بشكل كبير خلال المدة القادمة، هو الردّ الجماعي من قبل المحور».

وكان أكد قائد حركة «أنصار الله»، عبد الملك الحوثي، مساء أول من أمس، أن «كلّ جبهات المحور لن تتفرّج على العدو الإسرائيلي وهو يستهدف الشعب والمقاومة الإسلامية في لبنان»، مشيراً إلى أن «الموقف الذي يتحرّك عبره اليمن شعبياً ورسمياً تجاه العدوان الإسرائيلي على لبنان، يتّسم بالثبات، ويأتي في إطار معادلة وحدة الساحات ورفض معادلة الاستباحة». وكرّر أن «الحركة لن تسمح أبداً بأن ينفرد العدو الإسرائيلي بأيّ جبهة من جبهات المحور، بما في ذلك الجبهة الفلسطينية». وقال: «كما أعلنّا سابقاً، نحن جاهزون في جبهة اليمن للتدخل المباشر لإسناد الجبهة الفلسطينية إذا عاد العدوان الإسرائيلي». وأضاف أن «أنصار الله» ستواجه التصعيد الأميركي- الإسرائيلي بالتصعيد، متابعاً أن قواته «سوف تشارك بفاعلية في إطار مسار عمليات تصاعدي، في حال عودة الأعداء للتصعيد في هذه الجولة ضدّ الجمهورية الإسلامية في إيران وبلدان المحور».

طهران - **محمد خواجوئي**

كشفت أوساط مقرّبة من دوائر الحكم في طهران أن إلغاء الاجتماع الذي كان مقرّراً بين الولايات المتحدة وإيران في سويسرا، أمس، جاء بطلب إيراني. وبحسب تلك الأوساط، فإن المفاوضين الإيرانيين أصرّوا على ضرورة رؤية «مؤشرات تنفيذية» لمذكرة التفاهم الأوّلية، قبل المضيّ قُدُماً في مفاوضات الـ60 يوماً. وفي المقابل، أعلن البيت الأبيض إلغاء زيارة نائب الرئيس الأميركي، جي دي فانس، إلى سويسرا، عازياً هذا الإجراء إلى «أسباب لوجستية». وكان من المقرّر أن تشكّل هذه المفاوضات نقطة الانطلاق لمهلة الـ60 يوماً المخصّصة للمحادثات النووية، وذلك وفقاً لمذكّرة التفاهم الأخيرة بين البلدين، والتي وقّع عليها رسمياً، فجر الخميس الماضي، كلّ من الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان، والرئيس الأميركي، دونالد ترامب. إلّا أنه في بيان صادر عن وزارة الخارجية السويسرية، التي تتولّى منذ سنوات دور راعي المصالح الأميركية في إيران، لم ترد أيّ إشارة إلى موعد محدّد لبدء المفاوضات بين الجانبَين، في حين أعلن المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، إسماعيل بقائي، أمس، أن «المشاورات اللازمة تجري عبر الوسطاء لهذا الغرض، وسنعلن عن بدء المفاوضات حالما تتهيّأ الظروف الضرورية لذلك». وأشار إلى أنه بعد توقيع مذكرة التفاهم افتراضياً، لم يُعقد اجتماع البلدَين في سويسرا «أمراً ملحاً»، مستدركاً بـ«أننا نعمل حالياً على التخطيط لعقد اجتماع في الأيام المقبلة».

ويبدو أن تصعيد العدو الإسرائيلي في لبنان، وإعلانه التنصّل من «بند لبنان» الوارد في مذكرة التفاهم، شكّلا العاملَ الأبرزَ في الحذر الذي يُبديه المسؤولون الإيرانيون تجاه الانخراط في جولة مفاوضات جديدة مع واشنطن.

وينصّ البند الأوّل من المذكرة على «الإنهاء الفوري والدائم للعمليات العسكرية على كل الجبهات، بما فيها الجبهة اللبنانية»، وهو ما يشدّد المسؤولون الإيرانيون على وجوب أن يقترن بانسحاب كامل من الأراضي اللبنانية المحتلّة. وفي السياق، ردّ وزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، على دعوة وزير «الأمن القومي» الإسرائيلي، إيتمار بن غفير، إلى «حرق لبنان»، بالقول إن «جماعة الموت في تل أبيب هدفها الوحيد هو الحرب الدائمة». وبدورها، وفي ظلّ تصاعد المواجهات في لبنان، طالبت وكالة «تسنيم» المقرّبة من «الحرس الثوري»، أمس، بـ«إلغاء كامل» للمفاوضات الإيرانية- الأميركية، وبإغلاق مضيق هرمز. وشدّدت، في تقرير، على أنه «إلى حين وقف الهجمات الإسرائيلية وانسحاب قوات الاحتلال من الأراضي اللبنانية، يجب أن يظلّ مضيق هرمز مغلقاً، وأن تُلغى أيّ مفاوضات مرتقبة بشكل نهائي». واعتبرت «تسنيم» أن استمرار العدوان الإسرائيلي «يعني موت مذكّرة التفاهم، ولا ينبغي التغاضي عن ذلك أو القبول به».

رسمت الرسالة الأخيرة للمرشد الأعلى، آية الله مجتبى خامنئي، إطاراً جديداً لعمل المفاوضين الإيرانيين

وكانت الرسالة الأخيرة للمرشد الأعلى، آية الله مجتبى خامنئي، حول التفاهم الإيراني- الأميركي، رسمت إطاراً جديداً لعمل المفاوضين الإيرانيين، وطوت صفحة «التفاؤل» الذي أكثر منه المسؤولون الأميركيون، واستبدلتها بنبرة تحذيرية حازمة حيال مدى التزام واشنطن بتعهّداتها. ولعلّ العنوان الأهمّ في رسالة المرشد، إعلانه تأييد التفاهم مع الولايات المتحدة، رغم قناعته الشخصية المغايرة، وذلك انطلاقاً من ثقته بالتزام بزشكيان وأعضاء «المجلس الأعلى للأمن القومي» بـ«صون حقوق الشعب الإيراني وجبهة المقاومة»، وتحمّلهم كامل المسؤولية عن هذا المسار. كما أن خامنئي حسم الجدل الذي كان قائماً حول توقيع المذكّرة، بتأكيده أن المضيّ في المفاوضات المباشرة لا يعني، بأيّ حال، تبنّي «موقف العدو»، وهو ما من شأنه توفير حصانة للفريق المفاوض، تسمح له بمواصلة الحوار من دون أن يواجه تهمة «التراجع عن الثوابت الثورية». أيضاً، أعاد المرشد التذكير بالخطوط الحمر للنظام، مانحاً فريقه المفاوض أوراق ضغط في مواجهة أيّ تعنّت أو ابتزاز محتمل، ومعيداً تسليط الضوء على الطبيعة المشروطة والهشّة للتفاهم مع واشنطن، وفق ما تتصوّره القيادة الإيرانية.

وفور صدور رسالة المرشد الأعلى، سارعت المؤسسات والمسؤولون في طهران إلى التماهي مع مضامينها، وإعادة تظهير المواقف الوطنية تحت سقف الرؤية التي حدّدها. وفي هذا السياق، رحّب بزشكيان برسالة المرشد، مؤكداً أنه «يصغي رئيساً للجمهورية ورئيساً للمجلس الأعلى للأمن القومي، فإنني وسائر أعضاء المجلس نلتزم بأقصى درجات الاهتمام لهواجس سماحته، وصون حقوق الشعب الإيراني وجبهة المقاومة». وشدّد بزشكيان على أن «الخط الأحمر للمسؤولين هو المصالح الوطنية وحفظ عزّة وكرامة واقتدار الشعب الإيراني الأبيّ»، معرباً عن ثقته بأن «الفريق المفاوض، وعبر التزامه الدقيق بتفاصيل المفاوضات، وبفضل العناية الإلهية، سيحقّق نصراً كبيراً». ومن جهته، وصف رئيس البرلمان ورئيس الوفد الإيراني المفاوض، محمد باقر قاليباف، رسالة المرشد بأنها «خارطة طريق»، أوضحت أكثر من أيّ وقت مضى أن «نهاية مذكّرة التفاهم ليست سوى بداية طريق وعر وشاقّ، يتوجّب علينا فيه استيفاء حقوق الشعب الإيراني والمقاومة من عدو لا يفي بعهوده». كما حذّر من أن بلاده لن تتردّد في «الردّ الصاعق» في حال أقدم الطرف الآخر على «نقض العهد أو التراجع عن الالتزامات أو التمادي في المطالب». كذلك، أكدت أمانة «المجلس الأعلى للأمن القومي»، في بيان، أنها تُطمئن القائد والشعب إلى أنها «لن تتساهل بأيّ شكل من الأشكال في المفاوضات المقبلة التي ستُبنى على أساس المصالح الوطنية». ودعت إلى اعتماد «سياسة الريبة الكاملة تجاه العدو الناكث للعهود»، مشيرة إلى أنه «بالمراقبة الدقيقة لمسار التفاوض وتنفيذ البرامج، فإن أيّ انتهاك أو تخلّف من الجانب الأميركي سيُقابَل برد وإجراء مماثل، وفق خطط مُعدّة مسبقاً».

في هذا الوقت، بدا أن الاتفاق في الشقّ المتعلّق بفتح مضيق هرمز والحصار البحري الأميركي ضدّ إيران، يمضي نحو التنفيذ، حيث تكثّفت حركة السفن عبر المضيق فعلاً. ونقلت وكالة «بلومبرغ»، عن بيانات، أن 11 ناقلة نفط، تحمل مجتمعة 20 مليون برميل من النفط الإيراني، غادرت الأسبوع الجاري ميناء تشابهار في جنوب شرق إيران.

إيران تعمل على إعادة تنشيط شبكة صادراتها (من الويب)

إيران متمسّكة بتنفيذ البند الأوّل
إسرائيل تعطّل انطلاق المفاوضات

يبدو أن إسرائيل تمكّنت، عبر تصعيد عدوانها على لبنان، من تفجير اليوم الأول من المفاوضات المقرّرة بين إيران والولايات المتحدة، والتي كان موعد انطلاقها محدّداً، أمس، في سويسرا. ونقلت شبكة «سي أن أن» الأميركية عن مسؤول دبلوماسي قوله إن «المسؤولين الإيرانيين يطلبون ضمانات بوقف الهجوم الإسرائيلي على لبنان قبل العودة إلى المحادثات مع واشنطن». وأشار المسؤول إلى أن «استمرار تبادل إطلاق النار بين إسرائيل وحزب الله يعطّل مسار المفاوضات»، علماً أن الاتفاق الأميركي- الإيراني نصّ على إنهاء «العمليات العسكرية على جميع الجبهات»، بما فيها لبنان. وقال الدبلوماسي إن «الإيرانيين طلبوا ضمانات بإنهاء الأعمال العدائية في لبنان، كما هو منصوص عليه في الاتفاق الموقّع»، مضيفاً أن «الوسطاء يعملون حالياً على حلّ هذه المسألة». كذلك، وصف المحادثات المرتقبة بأنها «مؤجّلة مؤقتاً في أعقاب الضربات الإسرائيلية في لبنان»، من دون أن يحدّد موعداً محتملاً لاستئنافها. وبحسب نصّ مذكرة التفاهم، فإن انطلاق المفاوضات الخاصة بالاتفاق النهائي يبقى مشروطاً بالبدء في تنفيذ البنود الأول والرابع والخامس والعاشر والحادي عشر، وباستمرار الالتزام بها خلال المرحلة المقبلة. وينصّ البند الأول على وقف فوري ودائم للحرب على جميع الجبهات، بما يشمل لبنان، إلى جانب التزام متبادل بعدم اللجوء إلى القوة، وضمان وحدة الأراضي اللبنانية وسيادتها، فيما ينصّ البندان الرابع والخامس على رفع الحصار البحري الأميركي عن إيران تدريجاً، واستئناف حركة الملاحة. كذلك، ينصّ البندان العاشر والحادي عشر على إصدار الولايات المتحدة إعفاءات فورية لصادرات النفط والبتروكيماويات الإيرانية، والخدمات المرتبطة بها، بما فيها الخدمات المصرفية والتأمين والنقل، فضلاً عن السماح باستخدام الأموال والأصول الإيرانية المجمّدة أو الخاضعة لقيود، تمهيداً للانتقال إلى البنات الإفراج عنها في المفاوضات اللاحقة.

وترافق التصعيد الإسرائيلي في لبنان، والذي ينقض عملياً وبشكل واضح البند الأوّل من مذكرة التفاهم، مع تلميحات في الصحف الإسرائيلية إلى أن هدف التصعيد هو تعطيل الاتفاق المتبلور بين واشنطن وطهران. وفي هذا السياق، دعا وزير «الأمن القومي» الإسرائيلي إيتمار بن غفير، ووزير المالية بتسلئيل سموتريتش، أمس، إلى «إحراق لبنان ومحوه»، والتعامل مع «حزب الله» بـ«جنون مطلق». وجاء ذلك عقب مقتل أربعة جنود إسرائيليين في جنوب لبنان، الليلة الماضية، حيث كان اللواء الذي يعملون فيه يحاول توسيع الاحتلال في اتجاه منطقة علي الطاهر في النبطية، جنوبي لبنان.

وبعد ساعات من التصعيد الإسرائيلي، وعشرات الاعتداءات التي طاولت عدداً كبيراً من القرى والبلدات، وأسفرت عن استشهاد أكثر من 60 مواطناً وجرح عشرات آخرين، نقلت وكالة «رويترز» عن مسؤول أميركي كبير قوله إن «إسرائيل وحزب الله توصّلا إلى وقف لإطلاق النار، بدءاً سريانه عصر أمس». وأضاف المسؤول، أن «المفاوضين الأميركيين والقطريين توسّطوا في الاتفاق، بمساعدة من إيران». وفي السياق نفسه، تحدثت وسائل إعلام إسرائيلية عن دخول الاتفاق حيّز التنفيذ، ونقلت «القناة 13» عن مسؤول إسرائيلي قوله: «نحن الآن في وقف لإطلاق النار، وإذا لم يهاجمنا حزب الله، فإنه ليس وقت حرب من جهتنا». وأضاف المسؤول: «تبقى قوات الجيش في جنوب لبنان، ولدينا حرية العمل ضدّ التهديدات الناشئة وأيّ تهديد يستهدف قواتنا أو أراضينا». غير أنه، ورغم إعلان وقف إطلاق النار، واصلت قوات الاحتلال غاراتها في جنوب لبنان، فيما سُجّلت ليل أمس محاولات جديدة لقوات العدو للتقدم نحو مرتفع علي الطاهر، حيث انفجرت عبوات ناسفة بالقوة المتقدّمة، ما أوقع فيها إصابات مؤكدة.

ومن جهته، قال الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، إنه طلب من نتنياهو «الموافقة على وقف إطلاق النار مع حزب الله»، وأضاف: «أحياناً يجب أن نهدأ ونشغّل العقل». وجاء ذلك في وقت نقلت فيه صحيفة «واشنطن بوست» عن مصادر رسمية أن الاستخبارات الأميركية أعربت عن خشيتها من أن «يحاول نتنياهو تخريب الجهود الرامية إلى التوصّل إلى اتفاق مع إيران»، وأن «إسرائيل تعتزم مواصلة العمل عسكرياً ضدّ حزب الله». لكن «القناة 12» الإسرائيلية رأت أنه، بناءً على الأحداث في إيران ولبنان والخطاب الأخير لنائب رئيس الولايات المتحدة جي دي فانس، «بات من الممكن القول إن الخطّ السياسي والنهج الذي اتّبعته الحكومة الإسرائيلية ينهاران».

وفي سياق متصل، بدا لافتاً ما تحدّثت عنه تقارير إسرائيلية من أن «جهات داخل الإدارة الأميركية تحاول فتح قنوات اتصال غير رسمية مع شخصيات من قادة المعارضة في إسرائيل». وبيّنت هذه التقارير أن «الاتصالات مع المعارضة جاءت بسبب شعور متزايد بالإحباط من الوزراء المتطرّفين في حكومة نتنياهو، والاعتقاد بأن تغيّر الحكم في إسرائيل أصبح ممكناً».

الاستخبارات الأميركية أعربت عن خشيتها من أن «يحاول نتنياهو تخريب التوصل إلى اتفاق مع إيران»

(الأخبار)

السفن الإيرانية تتحرّر من العقوبات
لعنة «هرمز» لن تتبدّد سريعاً

ريم هاني

بدأت السفن الإيرانية، المعفاة من العقوبات، تتحرّك، جنباً إلى جنب سفن أخرى، عبر مضيق هرمز، عقب الاتفاق الأوّلي بين واشنطن وطهران على إنهاء الحرب. لكن الحركة في المضيق عادت، صباح أمس، لتبدو «أخفّ»، ممّا يرجع، على الأغلب، إلى تأجيل المرحلة التالية من المحادثات بين البلدَين، وتجدّد التصعيد في لبنان، والذي استدعى ارتفاع أصوات في الداخل الإيراني تطالب بإعادة إغلاق «هرمز» فوراً. وبحسب البيانات المتوافرة، فإن 25 سفينة تحرّكت، الخميس، بحذر، عبر المضيق؛ ورغم أن هذا العدد لا يشكّل سوى جزء بسيط من السفن التي لا تزال عالقة في المنطقة، إلّا أنه يمثل أعلى معدّل عبور يومي منذ أكثر من أسبوعَين، وواحداً من أعلى المحصّلات اليومية منذ بدء الحرب، وذلك وفقاً لبيانات شركة «كبلر».

وفي ما يتّصل بالحصّة الإيرانية من تلك الحركة، نقلت صحيفة «واشنطن بوست»، عن بيانات لـ«كبلر»، أن إيران تعمل على إعادة تنشيط شبكة صادراتها، مشيرةً إلى أن أربع ناقلات إيرانية عبرت المضيق الخميس، ثلاث منها أبحرت غرباً نحو جزيرة «خارك»، مشغّلةً أجهزة الإرسال والاستقبال الخاصة بها. أيضاً، شغّلت الناقلات الإيرانية الراسية بالقرب من ميناء تشابهار أجهزة الإرسال والاستقبال، لأوّل مرة منذ أشهر. وعادةً، لا تبثّ هذه الناقلات مواقعها بهدف الالتفاف على العقوبات، إلا أن الاتفاق المبدئي بين الولايات المتحدة وإيران يتضمن إعفاءً للأخيرة، مما يعني أن السفن يمكنها الآن القيام برحلاتها «على مرأى من العالم». وعليه، غادرت ما يقرب من 18 مليون برميل من النفط الخام، الموانئ ومناطق الرسوّ الإيرانية، خلال الأيام الخمسة الماضية، وذلك وفقاً لشركة «تانكر تراكيرز» المتخصّصة في تتبّع ناقلات النفط.

وإلى جانب السفن الإيرانية، أبحرت سفن أوروبية، بما فيها ناقلة غاز طبيعي مسال فرنسية وناقلة مركبات إيطالية، الخميس، وفقاً لشركة الاستخبارات البحرية «ويندوارد». كما غادرت خمس سفن مرتبطة باليابان، وناقلة نفط ضخمة تخضع لإدارة يابانية. بدورها، كانت سفن أخرى قد قرّرت الإبحار بعد وقت قصير من توقيع المذكّرة الأربعاء؛ إذ عبرت ثلاث ناقلات ترفع العلم السعودي، محمّلة بـ8 ملايين برميل من النفط الخام، المضيق في غضون ساعات من التوقيع. وأظهر تحليل لشركة «ويندوارد» أن هذه الناقلات مرّت عقب إغلاق أجهزة الإرسال والاستقبال الخاصة بها، ممّا حجب مواقعها، مشيرة إلى أن تلك الخطوة تمثل أكبر حركة منفردة للنفط عبر الممرّ المائي منذ أسابيع.

ورغم الحركة المتصاعدة في «هرمز»، فإن هذه السفن لا تشكل سوى جزء بسيط من تلك العالقة في الخليج؛ إذ لا تزال هناك نحو 550 سفينة تجارية ضخمة بحاجة إلى الخروج عبر المضيق، بما فيها 160 ناقلة نفط، وذلك وفقاً لإيجاز صحفي صادر عن «لويدز ليست». أمّا الجمعة، فلم تُشاهد أيّ ناقلات نفط تتحرّك من الخليج، علماً أن ناقلة نفط خام كبيرة ظهرت، مرّة أخرى، قبالة العاصمة العمانية مسقط، مما يشير إلى أنها عبرت «هرمز»، جنباً إلى جنب عبور ناقلة غاز البترول المسال المرتبطة بإيران وناقلة منتجات ترفع العلم النرويجي إلى الداخل.

مع ذلك، لا يزال بلفّ التشاؤم مستقبَل الملاحة عبر المضيق، حتى في حال صمود الاتفاق الإيراني- الأميركي. إذ يشير موقع «ذا كونفرسيشن» الأسترالي، في تقرير، إلى أن شركات التأمين كان لها الدور الحاسم في إغلاق «هرمز» فعلياً حتى قبل أن تعلن البحرية الإيرانية إغلاقه رسمياً، مبيّنةً أن أقساط التأمين ضدّ مخاطر الحرب ارتفعت من 0,25% من قيمة السفينة قبل النزاع، لتتراوح بين 3% و8% بعدها، وهو ما قد يترجم إلى تكاليف تأمينية تصل إلى 8 ملايين دولار أميركية للرحلة الواحدة لناقلة نفط واحدة. يُضاف إلى ذلك، أنه لا يمكن تطهير المضيق من الألغام البحرية بين عشية وضحاها، علماً أن إزالتها تُعدّ شرطاً أساسياً لكي تخفّض شركات التأمين أقساطها مجدداً. وإذ قد تستغرق هذه العملية وحدها ما يصل إلى ستة أشهر، فإن هذا يعني أن التكلفة المالية للعبور عبر «هرمز» قد تظلّ مرتفعة لمدة. وبحسب «الهيئة التجارية المستقلة لمالكي الناقلات»، فإن وسط المضيق مغلق بحوالي 80 لغماً، تجب إزالتها لاسترجاع حركة الشحن الاعتيادية.

وحتى بعد عودة السفن إلى الإبحار، فإن الاختناق الملاحي لن يختفي، بل سينتقل ببساطة إلى موانئ إعادة الشحن الأخرى؛ فحركة المرور المتدفّقة من المضيق ستحتاج إلى أرصفة، ورافعات، وعمالة، وخطوط ربط ملاحية في موانئ من مثل «جبل علي»، و«كولومبو»، و«سنغافورة»، وغيرها، وهي موانئ تعمل بالفعل بطاقتها القصوى بعدما اضطرت إلى استيعاب حركة المرور المحوّلة إليها في أثناء مدة الإغلاق. ويردف التقرير أن التدفّق المُعاجِئ لحركة المرور الجديدة في هذه الموانئ، سيتسبّب في تأخيرات إضافية عبر سلسلة إمداد الحاويات العالمية، في سيناريو أشبه بحادث سير على طريق سريع: فبمجرّد إزالة آثار الحادث، تبدأ حركة المرور المتكدّسة خلفه بالتبدّد، لكن هذا التشتّت نفسه قد يخلق تباطؤاً واختناقات جديدة عند المخرج أو المدخل التالي. وبالاستناد إلى البيانات ذات الصلة، تشير التقديرات المنطقية إلى أن العودة إلى الوضع الطبيعي في موانئ إعادة الشحن العالمية، لن تتحقّق إلا بعد ثلاثة إلى أربعة أشهر من الآن.

تشير التقديرات إلى أن العودة إلى الوضع الطبيعي في موانئ إعادة الشحن لن تتحقّق إلا بعد ثلاثة إلى أربعة أشهر

يُضاف إلى ذلك، أن العديد من شركات الشحن أعادت بالفعل تنظيم جداولها، وعقودها، وتوزيع سفنها، وتأمين التزوّد بالوقود لبقية عام 2026، بناءً على مسار طريق «رأس الرجاء الصالح»، فيما يتطلّب التراجع عن هذه الترتيبات وقتاً طويلاً.

ويقارن معدّو التقرير إغلاق مضيق هرمز بالهجوم الأخير لحركة «أنصار الله» على حركة الشحن في أيلول 2025 في باب المندب؛ إذ إنه رغم الإعلان عن وقف رسمي لإطلاق النار في اليمن في 11 تشرين الثاني من العام المذكور، ظلّت حركة المرور في قناة السويس أقلّ بنسبة 60% من مستويات ما قبل الأزمة، حتى بعد مرور 100 يوم على الهجوم المشار إليه.

وبالعودة إلى «هرمز»، كان لـ«الحاويات» نصيبها من الحصار أيضاً؛ ففيما تُركت المحمّلة منها بالبضائع محاصَرة داخل الخليج، تكدّست نظائرها الفارغة في مراكز لإعادة الشحن من مثل «كولومبو» والمحطّات الأوروبية. وجاءت طرق الملاحة البديلة عبر «رأس الرجاء الصالح» لتزيد الطين بلّة، حيث سبّبت تراكماً كبيراً للحاويات الفارغة في أوروبا- التي تنتظر شحنات قادمة من آسيا -، في حين بدأت الدول الآسيوية تُسابق الزمن للعثور على حاويات فارغة لشحن بضائعها. ولا تمثّل الحاويات المحاصَرة داخل الخليج سوى نصف القصة؛ إذ تُشير التقديرات إلى أن نحو مليوني حاوية شحن تعطّلت حركتها عبر الشبكة العالمية بسبب الحصار. ولذا، من المتوقّع أن يستغرق تحقيق أيّ تحسن ملموس من ثلاثة إلى خمسة أشهر من إعادة الفتح، بينما قد تستغرق العودة إلى مستويات التوازن التي كانت سائدة قبل الأزمة من 9 إلى 12 شهراً.

وفي ما يتعلّق بأسعار النفط، ورغم أن الأخيرة تفاعلت سريعاً مع إعلان الاتفاق المبدئي، منخفضةً من مستويات قياسية، إلا أن تعافي سلاسل الإمداد العالمية سيستغرق الجزء الأكبر من العام، بحسب مراقبين، فيما قد يكون الانفراج في محطّات الوقود تدريجياً وبطيئاً مقارنة بالهبوط السريع الذي شهدته أسواق النفط.

ذلك أن سلاسل الإمداد تعمل وفق جدول زمني يختلف عن الجداول الزمنية للسياسة؛ فعلى سبيل المثال، تُقدّر شركة الشحن الألمانية العملاقة «هاباغ لويد» أنها سوف تستغرق ستّة أسابيع على الأقلّ لاستعادة شبكة عملها الطبيعية بالكامل، هذا في حال استعادت السفن قدرتها على مغادرة الخليج في وقت قريب.

الحرب الكونية ضد المقاومة

فيتوات جديدة على «خارطة الطريق»

إسرائيل تستقبل «القوات الدولية» بالتوسّع

غزة - **يوسف فارس**

تقابل إسرائيل كلّ خطوة في مسار وقف الحرب على قطاع غزة، بقفزات على طريق استدامتها؛ إذ تزامن الإعلان عن وصول طلائع «قوات الاستقرار الدولية» إلى الأراضي المحتلة، بإزاحة المكعّبات الصفراء غرباً إلى وسط مخيم جباليا، وتقديم ملاحظات جوهرية إضافية من شأنها أن تنسف الورقة الجديدة

> **أزيحت المكعبات الصفراء غرباً في جباليا، ضمن خطّة نتنياهو للسيطرة على 70% من القطاع**

التي توافقت عليها الفصائل لتطبيق اتفاق شرم الشيخ. ووفقاً لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، فإن طلائع تلك القوات، التي تضمّ ضباطاً من كوسوفو والمغرب وكازاخستان وألبانيا، وصلت إلى إسرائيل تمهيداً لانتشارها في القطاع، فيما من المقرّر أن تبدأ بإقامة مركز لوجستي على معبر «كرم أبو سالم»، تمهيداً لفصل القوات الإسرائيلية عن مناطق الإدارة الفلسطينية ودعم إعادة الإعمار.

وفي مقابل ذلك، فوجئت مئات العائلات التي تسكن مقابل «الخطّ الأصفر» في مخيم جباليا، بقيام جيش الاحتلال بنقل المكعّبات الصفراء إلى ساحة مسجد الخلفاء الراشدين وسط المخيم. وتعني هذه الخطوة تطبيقاً لتصريحات سابقة أكد فيها رئيس وزراء العدو، بنيامين نتنياهو، أنه ينوي السيطرة على 70% من مساحة القطاع.

وبالتوازي مع ما يشهده الميدان من تصعيد مستمر، قدّم الإسرائيليون أيضاً ملاحظاتهم على خلاصة تفاهمات القاهرة التي عقدها الوسطاء المصريون والقطريون وأثارت مع فصائل المقاومة، وانتهوا بموجبها إلى ورقة محدّدات ستشكل «خارطة طريق» لتطبيق اتفاق شرم الشيخ. وتعكس الملاحظات الإسرائيلية رغبة صارخة ليس في تعطيل مسار وقف الحرب فقط، بل في نسف الاتفاق الذي أعلنه الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، برمّته.

ووفقاً لمصادر فصائلية مطّلعة، فإن الردّ الإسرائيلي جاء على لسان مفوض «مجلس السلام»، نيكولاي ميلادينوف، الذي قدّم صياغات أكثر تفصيلاً تتعلّق بحصر الوسائل العسكرية التابعة لفصائل المقاومة؛ إذ نصّت النسخة المعدّلة على إدراج الأنفاق، ومخازن السلاح، والمواقع العسكرية المفتوحة التي كانت تسيطر عليها الفصائل قبل الحرب، وسيارات الدفع الرباعي، والملابس العسكرية، والملابس المشابهة للملابس العسكرية، في خانة ما ينبغي سحبه وتسليمه.

كذلك، فتحت ورقة ميلادينوف التي تحمل البصمات الإسرائيلية باباً جديداً للخلاف يتّصل بصلاحيات «اللجنة الوطنية» المكلّفة بإدارة غزة وآلية عملها؛ إذ تضمّنت التعديلات الجديدة نصاً يقضي بأن تبدأ اللجنة بممارسة مهامها اعتباراً من اليوم الأول لتسلّمها المسؤولية، مع الإشارة الواضحة إلى أنه لا علاقة لها بأيّ التزامات حكومية سابقة. ويعني ذلك نفض اليد من رواتب ومستحقات 40 ألف موظف كانوا يتلقّونها من حكومة «حماس»، بالإضافة إلى موزّدي الخدمات من الشركات الخاصة الذين يجدولون ديوناً حكومية بمئات آلاف الشواكل. واعتبرت فصائل المقاومة الورقة المعدّلة «استفزازية»، وفق ما أفاد به مصدر فصائلي «الأخبار». وأشار المصدر إلى أن «الفصائل الفلسطينية تعكف على تقديم ردّها المقابل وملاحظاتها. لكن الأهمّ أن هذا الأخذ والرد إذا لم يُقابَل بموقف أميركي عملي يلزم إسرائيل بما تمّ التوافق عليه، فإن من شأنه أن يعيد الأوضاع الميدانية والإنسانية إلى المربع صفر».

وعلى الصعيد الميداني، صعّد جيش الاحتلال، خلال الأيام الثلاثة الماضية، عمليات الاغتيال، فيما لوحظ أن الاستهدافات الأخيرة بدأت تطاول شخصيات من الصفّ الرابع وعناصر في المقاومة، تتّهمهم إسرائيل بتنفيذ مهمات في معركة «طوفان الأقصى». وفي هذا السياق، اغتال جيش العدو شابَّين في مدينة خانيونس جنوبي القطاع، هما: حسين القدرة، وحيد والدبه- من بين ثماني أخوات -، الذي قضى في أثناء وجوده في كافتيريا على شاطئ البحر، وعبد الجواد أبو اللبن الذي استشهد في استهداف سيارته في شارع الوحدة وسط مدينة غزة، حيث كان يوزّع بطاقات عرسه المقرّر بعد بضعة أيام.

تصعيد ميداني إسرائيلي يواكب التعنّت في تطبيق اتفاق غزة (من الويب)

إصرار على الزجّ بملف لبنان

سوريا - إسرائيل: ضغط أميركي لإحياء المفاوضات

عامر علي

في سياق محاولة إدارة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، تحقيق خرق في ملفّ العلاقات بين دول المنطقة وإسرائيل، بدأت موجة مساعٍ جديدة لإحياء مسار المفاوضات المُجمّدة بين دمشق وتل أبيب. على أن الجديد هذه المرّة، طرح الملفّ اللبناني على أجندة تلك المفاوضات، في ظلّ رغبة ترامب في إقحام الرئيس السوري في المرحلة الانتقالية، أحمد الشرع، في هذا الملف، وإذ تمارس الولايات المتحدة، في سبيل إنعاش المسار التفاوضي، ضغوطاً على كلا الطرفين، بحسب ما ذكرت «الهيئة البث الإسرائيلية»، فهي تعتمد، وفق المصدر نفسه، على «اتفاقية فضّ الاشتباك» الموقّعة عام 1974 مرجعاً، وتشترط على دمشق تقديم كلّ التطمينات اللازمة إلى تل أبيب بعدم وجود أيّ تهديدات ضدّها من الجنوب السوري، وذلك في مقابل انسحاب إسرائيل من المناطق التي سيطرت عليها عقب سقوط النظام السابق، بما فيها قمّة جبل الشيخ ومنابع المياه العذبة جنوبي البلاد.

وكان مسار الاتفاقية الأمنية التي حاولت دمشق، عن طريق المبعوث الأميركي الخاص إلى سوريا، توماس برّاك، وبدفع من ترامب وبوساطة فرنسية، إنجازها، شهد جملة من العراقيل، أبرزها تعقّد ملف السويداء الذي دعمت تل أبيب إقامة «إدارة ذاتية» فيها، إثر تعرّض المحافظة ذات الغالبية الدرزية لهجازر ارتكبتها فصائل موالية أو تابعة للسلطات الانتقالية. وإذ أدّى ذلك إلى فتح مسار ضغط إسرائيلي جديد، وتثبيت موطئ قدم بحاول الاحتلال تجذيره عبر بوابة «حماية الدروز»، فإن برّاك، الذي تمّ تعيينه مبعوثاً خاصاً للعراق أيضاً، ويشغل منصب سفير بلاده في تركيا، ويتمتّع بعلاقات قوية مع دول الخليج، ظلّ يحاول، وفق مصادر مطّلعة، بناء جسور تواصل بين دمشق وتل أبيب على مبدأ «المنفعة للكل». وتمثّلت بعض محاولاته وقتذاك بتشجيع إقامة مشاريع استثمارية مشتركة قرب الشريط الفاصل مع الأراضي المحتلّة والجولان السوري، على أن تلتزم سوريا بالشروط الإسرائيلية (إقامة منطقة منزوعة السلاح بثلاثة مستويات أمنية، تشمل منع أيّ تحرّكات برّية أو جوية في المنطقة، والاكتفاء بوجود عناصر الشرطة وأسلحة خفيفة فقط)، وهو ما وافقت عليه حكومة الشرع، قبل أن تُغيّر إسرائيل موقفها، وترفض توقيع الاتفاق الأمني. وجاء الرفض الإسرائيلي مدعوماً بحقائق عديدة، أبرزها أن تل أبيب لن تكون الطرف الرابح من هذا الاتفاق، خصوصاً في ظلّ سيطرتها الحالية على الجنوب، واعترافٍ واشنطن أصلاً بالجولان باعتباره إسرائيلياً، والدعم الذي تحظى به إسرائيل من جانب تيارات متعدّدة في السويداء. ويستفيد الاحتلال من كلّ تلك العوامل في توسيع نطاق سيطرته داخل الأراضي السورية، وتحديداً في قرى القنيطرة حيث يقوم بالتضييق المستمرّ على الأهالي بشكل يدفعهم إلى ترك قراهم، بما يسهّل عليه إحكام قبضته على المنطقة.

مع ذلك، جدّدت الولايات المتحدة مساعيها لإحياء المسار السوري - الإسرائيلي، الذي ربطته «هيئة البث الإسرائيلية» بالمحادثات الموازية بين إسرائيل ولبنان. واعتبرت «الهيئة» أن ثقة رغبة لدى الرئيس الأميركي في دفع الشرع أكثر نحو لبنان لإضعاف نفوذ «حزب الله» بالشراكة مع إسرائيل، غير أنها أكّدت، في الوقت عينه، أن الرئيس السوري الانتقالي، وإسرائيل، لا يرغبان في هذا الأمر. وكان الشرع نفى،

> **تتذرّع إسرائيل بعلاقة السلطات الانتقالية بتركيا لتوسيع نفوذها في سوريا**

بشكل علني، وجود أيّ نية لديه لدخول لبنان، مؤكداً أن نشاط القوات السورية يقتصر على حدود البلاد. وفي المقابل، شنّ وزير الحرب الإسرائيلي، يسرائيل كاتس، هجوماً على الرئيس السوري الانتقالي، وقال في مقابلة مع «القناة 14» العبرية إن إسرائيل «ليست بحاجة إلى الجولاني»، واصفاً الأخير بأنه «إرهابي ببدلة»، مضيفاً أن إسرائيل «تقوم بالعمل بنفسها»، في إشارة إلى عملياتها العسكرية ضدّ «حزب الله». وفي سياق حملة التصعيد الإسرائيلية ضدّ ترامب، على خلفية توقيعه اتفاقاً،

كان الرفض الإسرائيلي لـ«الاتفاق الأمني» مدعوماً بحقائق عديدة، أبرزها أن تل أبيب لن تكون الطرف الرابح منه (أ ف ب)

رأي

مذكّرة التفاهم: التداعيات وإعادة تشكّل التوازنات

معين الرفاعي *

لا يمكن قراءة مذكّرة التفاهم الأميركية–الإيرانية بمعزل عن الميدان الذي أنتجها. فما جرى على طاولة التفاوض هو ترجمة سياسية لصمود راكمته جبهات المقاومة خلال أشهر الحرب، ودفعت ثمنه الشعوب في إيران وغزة وجنوب لبنان واليمن والعراق من دمائها وأمنها. المذكّرة لم تنه الحرب، بل التقطت حدود ما يمكن فرضه بالقوة، وأرست واقعاً جديداً يعترف بفشل المشروع العدواني في تحقيق أيّ من أهدافه المُعلنة.

لحظة التحوّل الأميركي الحاسمة حدثت حين خرج الرئيس ترامب ليقول إن «الشرق الأوسط يحتاج إلى استقرار لا إلى حروب لا تنتهي». هذه الجملة، في توقيتها وسياقها، اعتراف بأن الضربات الموجّهة إلى إيران لم تغيّر موقعها الجيوسياسي، ولم تنزع أوراق قوتها. سبق هذا الاعتراف تصريحٌ أكثر وضوحاً من نائب الرئيس جيه دي فانس، حين أقرّ بأن أي حرب مفتوحة مع إيران ستجرّ الولايات المتحدة إلى «مستنقع» جديد، وهو كلام يعكس إدراكاً بأن الردع الإيراني صمد، وأن قدرة طهران وحلفائها على إدارة المعركة الطويلة تجاوزت التوقعات الأميركية.

تكشف بنود المذكّرة انزياحاً عميقاً في المقاربة الأميركية. فالمطالب التي افتُتحت بها المواجهة، من تفكيك البرنامج النووي، وإخراج اليورانيوم المخصّب، والبرنامج الصاروخي وعلاقة إيران بحلفائها على طاولة التفاوض – اختُزلت في صيغة مغايرة تماماً: إبقاء التخصيب داخل إيران مع رقابة دولية على المستويات العالية، ورفع تدريجي للعقوبات، وتحرير الأموال المُجمّدة، وإنشاء آليات مالية جديدة، مع الاعتراف العلني للرئيس ترامب بحق إيران في امتلاك صواريخ بالسيستية، ومع إقرار مذكّرة التفاهم بحلفاء إيران، يعكس هذا التحوّل اعترافاً عملياً بأن تطويع إيران أو إنهاء قدرات المقاومة لم يعد خياراً قابلاً للتحقّق.

خرجت إيران من الحرب بخسائر عسكرية حقيقية على صعيد البنى والقادة، لكنها استثمرت هذه التضحيات في تثبيت موقعها كطرف لا يمكن تجاوزه في أي ترتيبات في المنطقة. تربط المذكّرة فتح مضيق هرمز بتوقيع الاتفاق، وتمنع طهران اعترافاً عملياً بدورها في أمن الخليج. كما أن اشتراط وقف إطلاق النار في لبنان وربطه بمسار قد ينتهي بانسحاب إسرائيلي كامل، يعكس قدرة إيران على توظيف نفوذها الإقليمي كأداة تفاوض لا يمكن عزلها عن الملف النووي. وبهذا، انتقل موقف طهران المتكرر بأن «أمن المنطقة لا يمكن أن يُبنى من دون إيران» من كونه خطاباً سياسياً إلى حقيقة تترجمها بنود المذكّرة.

وفي الإطار نفسه، لا يمكن فهم نتيجة المفاوضات بمعزل عن أداء باقي أطراف محور المقاومة. ففي اليمن، نجحت قوات «أنصار الله» في فرض معادلة بحرية غير مسبوقة عبر البحر الأحمر وباب المندب، وأثبتت أن الجغرافيا اليمنية قادرة على التأثير في التجارة العالمية وأمن الكيان، وهو ما مثّل ورقة ضغط مركزية على واشنطن. وفي العراق، واصلت فصائل المقاومة إسنادها الميداني، ووجّهت ضربات نوعية إلى العمق الإسرائيلي، مؤكدة أن الجغرافيا العراقية تحوّلت إلى جبهة فاعلة ضمن استراتيجية الردع المتكاملة. هذا التكامل بين الساحات هو الذي فوّت على العدو فرصة عزل أي جبهة، وجعل من وقف الحرب مطلباً أميركياً مُلحّاً.

> **يضع التفاهم الأميركي–الإيراني حركات المقاومة الفلسطينية ضمن شبكة إقليمية مُعترف بها، ويمنحها هامشاً سياسياً، حتى وإن بقيت تواجه ضغوطاً عربية ودولية لإعادة صياغة دورها**

وفي لبنان، خرج حزب الله من المواجهة مُثبتاً موقعه كطرف لا يمكن تجاوزه في أي ترتيبات تخصّ الحدود الجنوبية، ورغم حجم الاستهداف الذي طاول قياداته وبيئته الحاضنة، احتفظ الحزب بقدرته على فرض معادلات الاشتباك، وانتقل من دور القوة الميدانية إلى دور القوة الضامنة لأي اتفاق. وهذا الانتقال يعني أن نزع السلاح لم يعد مطروحاً كشرط أميركي، وأن أقصى ما يمكن لواشنطن المطالبة به هو تنظيم استخدامه. والأهم، أن هذا السلاح لم يعد مسألة لبنانية داخلية، بل أصبح جزءاً من إطار إقليمي أوسع. صحيح أن الثمن الذي دفعته البيئة الشعبية في الجنوب والبقاع والضاحية كان باهظاً، لكنه أثمر تثبيت موقع يجعل أي خرق إسرائيلي تجاوزاً لاتفاق دولي–إقليمي لا يمكن للمقاومة السكوت عنه.

أمّا حركات المقاومة في غزة وفصائل المقاومة الفلسطينية، فقد خاضت حرباً وجودية دمّر فيها العدو جزءاً كبيراً من البنى التحتية والعسكرية، لكنها نجحت في إعادة القضية الفلسطينية إلى صدارة الاهتمام الدولي بعد أن حاولت مسارات التطبيع تغييبها. فصمود أهالي غزة تحت القصف، وثباتهم على أرضهم رغم محاولات التهجير، وفشل العدو في تحقيق أي إنجاز استراتيجي، كلها عوامل جعلت أي ترتيبات خاصة في غزة غير قابلة للتمرير دون التعامل مع القوى الفاعلة على الأرض. يضع التفاهم الأميركي–الإيراني حركات المقاومة الفلسطينية ضمن شبكة إقليمية مُعترف بها، ويمنحها هامشاً سياسياً، حتى وإن بقيت تواجه ضغوطاً عربية ودولية لإعادة صياغة دورها.

تدرك دول الخليج أن المذكّرة تفتح نافذة لإعادة تعريف أمنها. الاعتراف بدور إيران في أمن المضائق يمنح العواصم الخليجية فرصة للانتقال من منطق المواجهة إلى منطق التوازن، ومن الاعتماد الأحادي على واشنطن إلى تنويع الشراكات، والأهم أنه يرسي معادلة أن أمن المنطقة يُبنى من داخلها، بالتعاون بين شعوبها وحكوماتها، ولا يُفرض من الخارج. كما أن الربط القسري بين أمن الخليج واستقرار فلسطين، الذي فرضته وقائع الحرب، يعيد القضية الفلسطينية إلى موقعها في قلب معادلة الأمن الإقليمي، وهو ما يمنح الدول العربية أوراق ضغط جديدة لتحسّن به موقفها في مواجهة إسرائيل لو أرادت ذلك.

في هذا السياق، أثبتت نتائج الحرب أنه لم يعد ممكناً التعامل مع التطبيع كخيار تقني أو اقتصادي منفصل عن القضية الفلسطينية وعن التوازنات الجديدة التي أرستها المقاومة. فتصريح ترامب بأن «أي اتفاق في الشرق الأوسط يجب أن يأخذ في الاعتبار مصالح جميع الأطراف» يعني ضمناً أن تجاوز الفلسطينيين لم يعد خياراً. وكذلك اعتراف نتنياهو بأن «إسرائيل لن تقدّم تنازلات تحت الضغط» يعكس قلقاً من بيئة إقليمية لم تعد تضمن استمرار التطبيع بشروطه القديمة. عملياً، لم تدفن المذكّرة التطبيع، لكنها أخرجته من مساره السريع غير المشروط، وجعلته مرتبطاً بمسار سياسي يعالج جوهر الصراع لا قشوره.

في المحصّلة، لم تُنهِ مذكرة التفاهم الصراع، بل أعادت تعريفه. لقد ثبّتت إيران كقوة إقليمية مُعترف بها، وكرّست فشل إسرائيل في فرض شروطها، وأجبرت الولايات المتحدة على مقاربة أكثر واقعية. والأهم أنها أثبتت أن مسار المقاومة بصبرها وتضحياتها قادر على تغيير قواعد اللعبة. يدخل المشهد الإقليمي اليوم مرحلة تنظيم توازنات القوى وفق معادلات يكتبها صمود الشعوب ونيران الميدان، لا إملاءات الغرف المُغلقة. عادت فلسطين، التي حاول البعض تهميشها إلى القلب. هذه هي الثمرة الإستراتيجية الكبرى التي ستُبنى عليها المرحلة المقبلة.

* سياسي وباحث فلسطيني

حصار متجدّد على المنطقة الشرقية: السعودية «تنتقم»... من مواطنيها

سناء أحمد إبراهيم

لم تكن المنطقة الشرقية في السعودية بمنأى عن موجة التضييق الأخيرة، ولا سيما في ظلّ الحرب الأميركية - الإسرائيلية على إيران، والتي اتّخذتها السلطات في المملكة، كما في الكويت والإمارات والبحرين، ذريعة لتشديد الإجراءات الأمنية واستهداف فئات متعدّدة من مواطنيها. وفي هذا السياق، سُجّل اعتقال ثمانية علماء دين في الأحساء والقطيف، هم: الشيخ سعود شروفنا، والشيخ سامي البراهيم، والشيخ عبد الجليل السمّين، والشيخ حسين النشمي، والشيخ حسن المطوّع، والسيد حسن اليوسف، والسيد محمد الناصر، والشيخ حسن الحداد. وبحسب «المنظمة الأوروبية السعودية لحقوق الإنسان»، فإن السلطات صعّدت استهداف المواطنين الشيعة في المنطقة الشرقية منذ اندلاع الحرب في آذار الماضي، وذلك عبر «حملات اعتقال واستدعاءات ومنع سفر وإعادة تفعيل للحواجز الأمنية»، في ما وصفته بأنه نمط يعيد إلى الواجهة «استخدام التوترات الإقليمية لتبرير التوسّع في الإجراءات الأمنية والتضييق على الحريات الدينية والمدنية». وأشارت المنظمة إلى أن هذه السياسات تترافق مع «الترهيب والتخويف وفرض الصمت على المجتمع المدني والمدافعين والمدافعات، ومنع المعلومات من الوصول من الداخل في ظلّ بنية من القمع والترهيب».

ومع ذلك، تمكّنت جهات حقوقية من توثيق عشرات الاعتقالات، والاستدعاءات لمعتقلين سابقين، فضلاً عن فرض قيود على ناشطين لا تُعتبره تل أبيب مُرضياً، مع إيران، رفض كاتس أيّ انسحاب لقواته من المناطق التي دخلتها، سواء في سوريا أو لبنان أو غزة.

وإلى جانب مكاسبها الكبيرة على الأرض في سوريا (عبر احتلال مناطق جديدة وتقوية نفوذها في السويداء)، ثمّة معوقات أخرى أمام انفتاح تل أبيب على دمشق، من بينها علاقة الأخيرة بأنقرة، التي باتت تملك النفوذ الأكبر في الملفّ السوري، في ما باتت الأولى تصنّفه «خطراً سنياً قادماً»، وتتذرّع به لتوسيع نفوذها في هذا البلد. ومنذ سقوط النظام السابق، سعت إسرائيل لمنع تركيا من التوسّع العسكري في جارتها الجنوبية، وذلك بطرق شتّى، من بينها التهديد السياسي والعسكري المستمر، وتنفيذ ضربات جوية على مواقع عسكرية كانت تحاول تركيا تحويلها إلى قواعد لها في وسط سوريا، الأمر الذي أبقى النفوذ العسكري التركي محصوراً في الشمال.

على الويب

طبقة جديدة من «الرياء المرحلة»
السوريون لا يلمسون انفراجاً اقتصادياً

في سياق متّصل، استبقت السلطات السعودية بدء إحياء مراسم شهر محرم في القطيف، بفرض جملة من القيود على أهالي المنطقة. وعبر «دائرة الأوقاف والموارث في القطيف»، نشرت السلطات ما سمّتها «الضوابط التنظيمية» التي حملت جملة من النواهي والأوامر، من قبيل تحديد وقت المجلس وعدد الحاضرين فيه، إضافة إلى منع استخدام الساحات والحدائق العامة وعقارات الدولة، كما منع إقفال الطرقات والشوارع بحجّة تعدّي هذا الفعل على حقوق المارّة. كذلك، فرضت السلطات حظراً على استقبال القرّاء أو المنشدين أو الزوار من خارج المحافظة، ومنعت رفع الرايات والأعلام في الطرقات والميادين العامّة والمنازل والمباني كافّة. وفي تعليقه على تلك الإجراءات، يقول مصدر محلّي، لـ«الأخبار»، إن «النظام حوّل القطيف إلى ما يشبه الثكنة العسكرية، مع عودة الحواجز الأمنية في مختلف أنحاء المنطقة، وانتشار نقاط التفتيش، ومنع دخول المعزّين من خارج المنطقة». ويضيف المصدر أن «السلطات تحاول بذلك عزل القطيف وممارسة أقصى درجات التضييق على أهلها، بما يشمل منع عادة سنوية متمثّلة بتدشين شعار موحّد وإطلاق موكب عزاء موحّد». ورغم أن التضييق في عاشوراء بات عادة سنوية، إلّا أنه هذا العام بدأ أشدّ وطأة في ظلّ تداعيات الحرب على إيران، وهو ما يعيد إلى الأذهان، بحسب المصدر نفسه، الحصار العسكري الذي فُرض على القطيف، وتحديداً العوامية، إبّان اجتياح حيّ المسورة وهدمه عام 2017، وكذلك الحصار الذي ضُرب على المنطقة في أثناء حراك عام 2011.

الحرب الكونية ضد المقاومة

الأوطان ليست سلعاً تجارية!

سعد الله مزرعاني *

لعلَّ الذريعة الأبرز ضد المقاومة اللبنانية، بعد مسألة الارتباط بالخارج، هي الخسائر والتكلفة في المجالات البشرية والعمرانية. تتصل بهاتين الأخيرتين، حكماً، مسائل التهجير والتشريد وتدمير البنى التحتية والحصار. يتصل بهما، أيضاً، ضياع المواسم وتعطيل مصادر عدة للإنتاج والنشاط. تضاف كذلك السنوات الضائعة من هدر الوقت في حقول التربية والدراسة مما سيكون تعويضه شبه مستحيل.

في اليوميات وفي السجلات العامة في وسائل الإعلام والتواصل المتنوعة، وخصوصاً في حلقات وبرامج «التوك شو» الموجَّهة والممَوّلة بسخاء، يجري استحضار تلك الخسائر المتنوعة، وهي كبيرة وفادحة بالتأكيد، لتبرير سياسة ووجهة وخيار، ضد سياسة ووجهة وخيار من النوع النقيض.

يغذّي ذلك أن العدو الصهيوني قد اختار وأدمن نوعاً متفرداً من الحروب الموجَّهة، بالدرجة الأولى، ضد المدنيين. هذا النوع ليس جديداً بالنسبة إلى الحركة الصهيونية وإلى مشروعها الإحلالي والاغتصابي في فلسطين. توسّل حملة هذا المشروع المجازر والتشريد والإرهاب أداة محورية لتحقيق أهدافهم. منذ ثلاث سنوات، يشهد العالم نسخة جديدة من هذا النهج، هي الأوسع والأشمل والأكثر فتكاً وتدميراً ووحشية: الإبادة الشاملة للمدنيين، والتفجير والتدمير الكاملين للعمران. يجري تكرار ذلك في الجنوب اللبناني وفق «نموذج غزة». ما مارسته وتمارسه دول عظمى استعمارية، غربية خصوصاً، بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، هو التبرير بذريعة «الدفاع عن النفس»، ودعم المعتدي بكل أسلحة القتل والدمار والإبادة.

تتطلق المقاومة الشعبية التي هي واجب وحق إذاً، من نسبية مختلة في التوازن. هي، تلقائياً، في حال قيامها، محكومة بأن تتطلق من مبدأ الواجب، لا من واقع التوازنات، ومن سمو ومصيرية الهدف لا من كلفة وأثمان تحقيقه. أما إذا كان المنطلق هو ميزان القوى (وهو مختل)، وحسابات التكلفة (وهي باهظة دائماً)، فالنتيجة ستكون، بالضرورة، الاستسلام والرضوخ والمهانة والخسارة.

بين الكفاح من أجل الهدف، وبين الانطلاق من التكلفة والخسائر، تتحدّد مصائر وتلوح آمال وتجترح معجزات، أو ترتكب أخطاء ويتحكم محتل وتضيع أوطان وشعوب وحقوق. الأمثلة عدة: الجزائر، فيتنام، جنوب أفريقيا... الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية تكبّد أكبر نسبة خسائر في التاريخ. لكنه، في المقابل، قدّم أعظم مساهمة في إنقاذ البشرية عموماً من الوحش النازي والفاشي.

اختبرت المقاومة اللبنانية ظروفاً متنوعة. تعايشت مع سلطات محايدة أو متعاطفة. واجهت المحتل وداعميه والسلطة التي فرضها عام 1982. واجهته عام 2006. تواجه الآن المحتل وسلطة تراهن عليه وعلى داعميه لتحقيق أهداف داخلية تتعارض مع المصلحة الوطنية! في كل تلك الحالات، قدّمت المقاومة اللبنانية، بكل مسمياتها ومراحلها (وتقدّم الآن)، نماذج باهرة في الشجاعة والتضحية والمواجهة و... الانتصار!

* كاتب وسياسي لبناني

دَورُ زعماء الشّيعة في لبنان المعاصر: مذكّرات كاظم الخليل [16]

أسعد أبو خليل *

ما يزالُ الحديثُ هنا عن مُذكّرات كاظم الخليل التي صدرت حديثاً بعنوان: «مذكّراتي: كاظم الخليل»، عن دار سائر المشرق. يروي الخليل حادثة حصار داني شمعون في مستشفى الجامعة الأميركيّة في بيروت في كانون الأوّل 1978. في الرواية، يتسنّر الخليل، كعادته، عن جرائم الميليشيات اليمينيّة في بيروت الشرقيّة. صحيح أنّ داني شمعون كان في زيارة تفقّد للسفير السعودي، علي الشاعر، في مستشفى الجامعة الأميركيّة في بيروت. يقول الخليل إنّ الشاعر كان يتعالج «من جرح في ساقه أصيب به وهو عائد في طائرة مروحيّة من زيارة الرئيس فرنجيّة». الحادثة وقعت بالفعل قرب جونية لكنّ النيران كانت من الميليشيات الانعزاليّة التي كان الخليل، نظريّاً على الأقل، من قادتها كنائب لرئيس ثاني أكبر حزب في المنطقة. صحيح، شعر سكّان المنطقة الغربيّة بوصمها بالاستفزاز لأنّ داني شمعون كان مُشاركاً شخصيّاً في المجازر التي ارتُكِبَت في المخيّمات الفلسطينيّة. يقول إنّ مسلّحي الحركة الوطنيّة «ومنظّمة الصاعقة» كانوا «يحيطون بالمستشفى بغية القبض على داني شمعون وقتْله» (ج.3، ص. 935). هذا غير صحيح. لم تكن منظّمة «الصاعقة» مشاركة في الحصار الذي قامت به، بصورة عفويّة، أحزاب يساريّة لبنانيّة ثوريّة. لكن ميليشيا «المرابطون» سارعت إلى إرسال قوّة، حتماً بأمر من حركة «فتح» التي كانت ترعاها، كي تسيطر على الوضع وتمنع أيّ عمل عنفيّ ضدّ شمعون. وشمعون زار الشاعر لأنّه كان مُحرجاً لأنّ محاولة اغتيال الشاعر

> على المستوى الشخصي، كان الخليل معروفاً بشخصيّته المتواضعة والقريبة من الناس خلافاً، مثلاً، لشخصيّة كامل الأسعد المتعجرف. لكن هذا الجانب يتناقض مع حدّة عدائه ضدّ الشعب الفلسطينيّ وحركته

جرت على أيدي رفاقه. يقول الخليل إنّ الملك فهد اتّصل بحافظ الأسد «وطلب منه التدخّل لفكّ الحصار عن المستشفى». ويروي الخليل أنّ قادة مقاتلي «الأحرار» و«الكتائب» و«حرّاس الأرز» عقدوا اجتماعاً «وقرّروا استثمار جميع القوّات المسلّحة لديهم، وصُوّبت فوهات أكثر من مئة وخمسين مدفعاً من مختلف القيادات نحو المنطقة الغربيّة ومركز الردع والمرابطون... وانتظر الجميع إشارة من الرئيس شمعون، حتى إذا كان هناك خبر سوء تُفتَح أبواب جهنّم وتبدأ المعركة الكبرى» (ص. 936). يقول الخليل إنّ حافظ الأسد أرسل قوات لفكّ الحصار عن المستشفى وإخراج شمعون. لم يحصل ذلك أبداً. «فتح» هي التي سيطرت على الوضع: بداية، عبر إرسال قوّة من المرابطون لمراقبة مقاتلي الأحزاب اليساريّة، ثانياً، عبر إرسال عشرات من سيّارات الـ«رينج روفر» المدجّجة بالسلّحين. أبو حسن سلامة هو الذي تدخّل بقوّة لإنقاذ صديقه شمعون.

يتحدّث الخليل عن عمليّات المقاومة الفلسطينيّة بنفور وعداء. يقول مثلاً: «بتاريخ 15 كانون الثاني 1980، أقدمت المقاومة الفلسطينيّة على عمليّات ضدّ إسرائيل، منها وضْع عبوات ناسفة في أماكن آهلة داخل الأراضي الإسرائيليّة... الأمر الذي اتّخذته إسرائيل ذريعة تجاه الرأي الإعلامي العالمي للانتقام من الفلسطينيّين وضربهم بقسوة» (ص. 939). ويزعم الخليل أنّ عدد الضحايا الفلسطينيّين جراء قصف إسرائيل كان «قليلاً جدّاً» لأنّ أهل المخيّمات «لجأوا بسرعة إلى الملاجئ التي أنشئت، عندما خصّصت الدول العربيّة خمسين مليون دولار لهذه الغاية». هذا غير صحيح. الرقم الذي يذكره خيالي. لم تكن ميزانية المنظّمة السنويّة تقترب من هذا المبلغ ولم يكن هناك ملاجئ محصّنة. ثمّ، متى كانت القنابل والصواريخ الإسرائيليّة تميّز بين لبناني وفلسطيني أو بين مدني وعسكري. ولهجة الخليل عن العمليّات الفلسطينيّة تنمّ عن تعاطف مع سكّان ما يسمّيه بـ«الأراضي الإسرائيليّة». لكنّه يتعاطف مع ضحايا مجزرة الصفرا التي ارتكبها بشير الجميّل ضدّ مليشيا «النمور» ومدنيّين. يذكر رقم 530 ضحيّة، نقلاً عن داني شمعون (ص. 948). يروي أيضاً ما لم نكن نعلمه: أنّ أمين الجميّل عرض على داني شمعون توحيد قوّاتهما للسيطرة «على الموقف» و«أخذ زمام المبادرة من يد بشير» (ص. 951). يذكر معركة زحلة (ص. 954) لكنّه لا يعترف أنّها كانت من صُنع قوات بشير الجميّل لجرّ تدخل إسرائيلي. حتى المراجع الإسرائيليّة تعترف بذلك. وعندما يتحدّث عن أعمال عنف من قبل الجيش السوري تتّساءل: لماذا لا يستعمل هذه اللّهجة ضدّ عدوان إسرائيل على جنوب لبنان؟ على العكس، هو يلوم «الفلسطينيّين» على عدوان إسرائيل.

وفي الوقت الذي اخترعت فيه الدعاية الصهيونيّة قصصاً عن تحالف بين موسى الصدر ونظام الشاه وفبركت روايات عن دور للنظام الإيراني (الذي لم يكن قد وُلد بعد) في اختطاف الصدر، يروي محادثة بينه وبين الشاه وفيها يعبّر للشاه عن عدائه ضدّ الصدر (ص. 959). حاول الخليل التوسّط بين الطرفين (مع أنّه لم يكن يُكِنّ وُدّاً للصدر) لكنّ الشاه رفض الوساطة.

كتب الخليل مرثية جميلة عن أخيه عبد الرحمن، والخليل كان معروفاً بقربه من أخيه. كتب كلاماً جميلاً جدّاً عنه وبعاطفة صادقة (ص. 961). وعلى المستوى الشخصي، كان الخليل معروفاً بشخصيّته المتواضعة والقريبة من الناس خلافاً، مثلاً، لشخصيّة كامل الأسعد المتعجرف. لكن هذا الجانب يتناقض مع حدّة عدائه ضدّ الشعب الفلسطينيّ وحركته. يفتري حتى على القائد الفتحاوي، عزمي الصغير، ويقول عنه في سرديّته عن اجتياح 1982: «أمّا الحاكم العسكري الفلسطيني، واسمه عزمي الصغير، فقد غادر إلى الضفّة الغربيّة من فلسطين بحماية الإسرائيليّين، ولا يزال فيها إلى الآن» (ص. 964). في الحقيقة، قاد عزمي الصغير مجموعة مقاتلة استبسلت في صدّ الجيش الإسرائيلي وقاتل الصغير حتى آخر رمق من حياته. قصّته من البطولات في حرب 1982. لكنّ الخليل كان على حقّ عندما كتب أنّ أهل الجنوب رحّبوا في صيف 1982 بالجيش الإسرائيلي (ص. 965) لأنّهم أرادوا التخلّص من سطوة منظّمة التحرير التي عاثت فساداً وظلماً في أرض الجنوب.

يقول عن بشير الجميّل (وهو عرفه) إنّه «تعهّد لشارون وبيغن... في أحد اجتماعاته معهما بأنّه سيكون الأداة الطيّعة لتنفيذ ماربهما والتقيّد بسياستهما» (ص. 969). هذه هي الحقيقة التي يجب أن تدحض تلك الروايات التي تزعم أنّ بشير تمرّد على رعاته في تل أبيب، بعد أن نصّبوه عنوةً رئيساً للبنان. طمأن بيغن بشير قبل تنصيبه: «نحن متفقون مع أصدقائنا على إيصالك إلى الرئاسة، وجاذون في ذلك». وكان يقصد «الأميركان» (ص. 969). بشير اقنع الخليل بترشيحه وقال له: «لكن لا تعتقد بأنّ الدول الأجنبيّة هي أقوى ناخب في لبنان؟ هذه الدول ضدّ الرئيس شمعون ومؤيّدة لي. فالأميركان يؤيّدونني والإسرائيليّون كذلك» (ص. 970).

كان الاتّفاق بين إسرائيل والجميّل على «عقد معاهدة بين البلدين تُفتح بموجبها كلّ مرافق لبنان في وجه إسرائيل وهيمنتها. وقد وافق بشير على كلّ ما رسمه بيغن وشارون» (ص. 972). ويضيف الخليل: «فرحة الإسرائيليّين بانتخاب بشير كانت أكبر، وأعمّ، وأعمق من فرحة الأميركان. فقد كان بيغن وشارون مجتمعَين بزملائهما من الوزراء يستمعون إلى الإذاعة اللّبنانيّة تبثّ لهم بشرى انتخاب بشير رئيساً للجمهوريّة. وما إن أعلنت ذلك حتى التفّت بيغن إلى الوزراء يقول: «لقد حقّقت إسرائيل أهدافها وجنت ثمرات حربها في لبنان على أوسع نطاق... اتبنا بصدبقنا بشير الجميّل رئيساً للجمهوريّة، وهو مستعدّ لتوقيع معاهدة سلام معنا» (ص. 974). يقول بشير لبيغن في أول اجتماع: «وإني مستعدّ لتنفيذ ما متى كانت القنابل والصواريخ الإسرائيليّة تميّز بين لبناني وفلسطيني أو بين مدني وعسكري. ولهجة الخليل عن العمليّات الفلسطينيّة تنمّ عن تعاطف مع سكّان ما يسمّيه بـ«الأراضي الإسرائيليّة». لكنّه يتعاطف مع ضحايا مجزرة الصفرا التي ارتكبها بشير الجميّل ضدّ مليشيا «النمور» ومدنيّين. يذكر رقم 530 ضحيّة، نقلاً عن داني شمعون (ص. 948). يروي أيضاً ما لم نكن نعلمه: أنّ أمين الجميّل عرض على داني شمعون توحيد قوّاتهما للسيطرة «على الموقف» و«أخذ زمام المبادرة من يد بشير» (ص. 951). يذكر معركة زحلة (ص. 954) لكنّه لا يعترف أنّها كانت من صُنع قوات بشير الجميّل لجرّ تدخل إسرائيلي. حتى المراجع الإسرائيليّة تعترف بذلك. وعندما يتحدّث عن أعمال عنف من قبل الجيش السوري تتّساءل: لماذا لا يستعمل هذه اللّهجة ضدّ عدوان إسرائيل على جنوب لبنان؟ على العكس، هو يلوم «الفلسطينيّين» على عدوان إسرائيل.

وفي الوقت الذي اخترعت فيه الدعاية الصهيونيّة قصصاً عن تحالف بين موسى الصدر ونظام الشاه وفبركت روايات عن دور للنظام الإيراني (الذي لم يكن قد وُلد بعد) في اختطاف الصدر، يروي محادثة بينه وبين الشاه وفيها يعبّر للشاه عن عدائه ضدّ الصدر (ص. 959). حاول الخليل التوسّط بين الطرفين (مع أنّه لم يكن يُكِنّ وُدّاً للصدر) لكنّ الشاه رفض الوساطة.

كتب الخليل مرثية جميلة عن أخيه عبد الرحمن، والخليل كان معروفاً بقربه من أخيه. كتب كلاماً جميلاً جدّاً عنه وبعاطفة صادقة (ص. 961). وعلى المستوى الشخصي، كان الخليل معروفاً بشخصيّته المتواضعة والقريبة من الناس خلافاً، مثلاً، لشخصيّة كامل الأسعد المتعجرف. لكن هذا الجانب يتناقض مع حدّة عدائه ضدّ الشعب الفلسطينيّ وحركته. يفتري حتى على القائد الفتحاوي، عزمي الصغير، ويقول عنه في سرديّته عن اجتياح 1982: «أمّا الحاكم العسكري الفلسطيني، واسمه عزمي الصغير، فقد غادر إلى الضفّة الغربيّة من فلسطين بحماية الإسرائيليّين، ولا يزال فيها إلى الآن» (ص. 964). في الحقيقة، قاد عزمي الصغير مجموعة مقاتلة استبسلت في صدّ الجيش الإسرائيلي وقاتل الصغير حتى آخر رمق من حياته. قصّته من البطولات في حرب 1982. لكنّ الخليل كان على حقّ عندما كتب أنّ أهل الجنوب رحّبوا في صيف 1982 بالجيش الإسرائيلي (ص. 965) لأنّهم أرادوا التخلّص من سطوة منظّمة التحرير التي عاثت فساداً وظلماً في أرض الجنوب.

يقول عن بشير الجميّل (وهو عرفه) إنّه «تعهّد لشارون وبيغن... في أحد اجتماعاته معهما بأنّه سيكون الأداة الطيّعة لتنفيذ ماربهما والتقيّد بسياستهما» (ص. 969). هذه هي الحقيقة التي يجب أن تدحض تلك الروايات التي تزعم أنّ بشير تمرّد على رعاته في تل أبيب، بعد أن نصّبوه عنوةً رئيساً للبنان. طمأن بيغن بشير قبل تنصيبه: «نحن متفقون مع أصدقائنا على إيصالك إلى الرئاسة، وجاذون في ذلك». وكان يقصد «الأميركان» (ص. 969). بشير اقنع الخليل بترشيحه وقال له: «لكن لا تعتقد بأنّ الدول الأجنبيّة هي أقوى ناخب في لبنان؟ هذه الدول ضدّ الرئيس شمعون ومؤيّدة لي. فالأميركان يؤيّدونني والإسرائيليّون كذلك» (ص. 970).

يتحدّث الخليل عن عمليّات المقاومة الفلسطينيّة بنفور وعداء. يقول مثلاً: «بتاريخ 15 كانون الثاني 1980، أقدمت المقاومة الفلسطينيّة على عمليّات ضدّ إسرائيل، منها وضْع عبوات ناسفة في أماكن آهلة داخل الأراضي الإسرائيليّة... الأمر الذي اتّخذته إسرائيل ذريعة تجاه الرأي الإعلامي العالمي للانتقام من الفلسطينيّين وضربهم بقسوة» (ص. 939). ويزعم الخليل أنّ عدد الضحايا الفلسطينيّين جراء قصف إسرائيل كان «قليلاً جدّاً» لأنّ أهل المخيّمات «لجأوا بسرعة إلى الملاجئ التي أنشئت، عندما خصّصت الدول العربيّة خمسين مليون دولار لهذه الغاية». هذا غير صحيح. الرقم الذي يذكره خيالي. لم تكن ميزانية المنظّمة السنويّة تقترب من هذا المبلغ ولم يكن هناك ملاجئ محصّنة. ثمّ، متى كانت القنابل والصواريخ الإسرائيليّة تميّز بين لبناني وفلسطيني أو بين مدني وعسكري. ولهجة الخليل عن العمليّات الفلسطينيّة تنمّ عن تعاطف مع سكّان ما يسمّيه بـ«الأراضي الإسرائيليّة». لكنّه يتعاطف مع ضحايا مجزرة الصفرا التي ارتكبها بشير الجميّل ضدّ مليشيا «النمور» ومدنيّين. يذكر رقم 530 ضحيّة، نقلاً عن داني شمعون (ص. 948). يروي أيضاً ما لم نكن نعلمه: أنّ أمين الجميّل عرض على داني شمعون توحيد قوّاتهما للسيطرة «على الموقف» و«أخذ زمام المبادرة من يد بشير» (ص. 951). يذكر معركة زحلة (ص. 954) لكنّه لا يعترف أنّها كانت من صُنع قوات بشير الجميّل لجرّ تدخل إسرائيلي. حتى المراجع الإسرائيليّة تعترف بذلك. وعندما يتحدّث عن أعمال عنف من قبل الجيش السوري تتّساءل: لماذا لا يستعمل هذه اللّهجة ضدّ عدوان إسرائيل على جنوب لبنان؟ على العكس، هو يلوم «الفلسطينيّين» على عدوان إسرائيل.

وفي الوقت الذي اخترعت فيه الدعاية الصهيونيّة قصصاً عن تحالف بين موسى الصدر ونظام الشاه وفبركت روايات عن دور للنظام الإيراني (الذي لم يكن قد وُلد بعد) في اختطاف الصدر، يروي محادثة بينه وبين الشاه وفيها يعبّر للشاه عن عدائه ضدّ الصدر (ص. 959). حاول الخليل التوسّط بين الطرفين (مع أنّه لم يكن يُكِنّ وُدّاً للصدر) لكنّ الشاه رفض الوساطة.

كتب الخليل مرثية جميلة عن أخيه عبد الرحمن، والخليل كان معروفاً بقربه من أخيه. كتب كلاماً جميلاً جدّاً عنه وبعاطفة صادقة (ص. 961). وعلى المستوى الشخصي، كان الخليل معروفاً بشخصيّته المتواضعة والقريبة من الناس خلافاً، مثلاً، لشخصيّة كامل الأسعد المتعجرف. لكن هذا الجانب يتناقض مع حدّة عدائه ضدّ الشعب الفلسطينيّ وحركته. يفتري حتى على القائد الفتحاوي، عزمي الصغير، ويقول عنه في سرديّته عن اجتياح 1982: «أمّا الحاكم العسكري الفلسطيني، واسمه عزمي الصغير، فقد غادر إلى الضفّة الغربيّة من فلسطين بحماية الإسرائيليّين، ولا يزال فيها إلى الآن» (ص. 964). في الحقيقة، قاد عزمي الصغير مجموعة مقاتلة استبسلت في صدّ الجيش الإسرائيلي وقاتل الصغير حتى آخر رمق من حياته. قصّته من البطولات في حرب 1982. لكنّ الخليل كان على حقّ عندما كتب أنّ أهل الجنوب رحّبوا في صيف 1982 بالجيش الإسرائيلي (ص. 965) لأنّهم أرادوا التخلّص من سطوة منظّمة التحرير التي عاثت فساداً وظلماً في أرض الجنوب.

يقول عن بشير الجميّل (وهو عرفه) إنّه «تعهّد لشارون وبيغن... في أحد اجتماعاته معهما بأنّه سيكون الأداة الطيّعة لتنفيذ ماربهما والتقيّد بسياستهما» (ص. 969). هذه هي الحقيقة التي يجب أن تدحض تلك الروايات التي تزعم أنّ بشير تمرّد على رعاته في تل أبيب، بعد أن نصّبوه عنوةً رئيساً للبنان. طمأن بيغن بشير قبل تنصيبه: «نحن متفقون مع أصدقائنا على إيصالك إلى الرئاسة، وجاذون في ذلك». وكان يقصد «الأميركان» (ص. 969). بشير اقنع الخليل بترشيحه وقال له: «لكن لا تعتقد بأنّ الدول الأجنبيّة هي أقوى ناخب في لبنان؟ هذه الدول ضدّ الرئيس شمعون ومؤيّدة لي. فالأميركان يؤيّدونني والإسرائيليّون كذلك» (ص. 970).

يتحدّث الخليل عن عمليّات المقاومة الفلسطينيّة بنفور وعداء. يقول مثلاً: «بتاريخ 15 كانون الثاني 1980، أقدمت المقاومة الفلسطينيّة على عمليّات ضدّ إسرائيل، منها وضْع عبوات ناسفة في أماكن آهلة داخل الأراضي الإسرائيليّة... الأمر الذي اتّخذته إسرائيل ذريعة تجاه الرأي الإعلامي العالمي للانتقام من الفلسطينيّين وضربهم بقسوة» (ص. 939). ويزعم الخليل أنّ عدد الضحايا الفلسطينيّين جراء قصف إسرائيل كان «قليلاً جدّاً» لأنّ أهل المخيّمات «لجأوا بسرعة إلى الملاجئ التي أنشئت، عندما خصّصت الدول العربيّة خمسين مليون دولار لهذه الغاية». هذا غير صحيح. الرقم الذي يذكره خيالي. لم تكن ميزانية المنظّمة السنويّة تقترب

(تمّت)

* كاتب عربي
حسابه على إكس «@asadabukhalil»

نتنياهو في أميركا: أغلاط الشاطر

نزيه جمال *

لا شك أن بنيامين نتنياهو هو بين رؤساء الدول الأكثر معرفةً بالسياسة الأميركية والمجتمع الأميركي. وهذا ليس مستغرباً من رجل امتلك كل مؤهلات الانتساب إلى النخبة الأميركية، فهو قد أكمل دراسته الثانوية في مدرسة نخبوية خاصة في ضواحي فيلادلفيا وتابع دراسته الجامعية في معهد مساشوسيتس للتكنولوجيا MIT (إحدى أرقى الجامعات التي يتخرج منها أفضل طلاب العلوم والهندسة)، ومن ثم انتقل إلى شركة Boston Consulting Group حيث عمل كمستشار وزامل ميت رومني (الجمهوري—من طائفة المرمون—الذي أصبح في ما بعد حاكماً لولاية ماساشوستس ومن ثم مرشحاً رئاسياً وبعد ذلك عضو مجلس شيوخ عن ولاية يوتاه). وبالفعل، يشعر مَن يشاهد مقابلات نتنياهو مع الإعلام الأميركي وخطاباته أمام الجمعيات المؤيدة للكيان الصهيوني في أميركا أن لدى هذا السياسي المحنك ملكة مخاطبة الأميركيين. الأمر طبعاً لا يتوقف عند الخطابة، فقد وصل تأثير نتنياهو، الذي عمل كناتب لرئيس البعثة الديبلوماسية لإسرائيل في واشنطن في أوائل ثمانينيات القرن المنصرم ومن بعدها انتقل ليكون سفير الكيان لدى الأمم المتحدة في نيويورك، لحد وصفه من قبل أسعد أبو خليل -أستاذ العلوم السياسية في جامعة ولاية كاليفورنيا، ستانيسلاوس- بأنه أكثر من قولب السياسة الأميركية في الشرق الأوسط من الثمانينيات حتى يومنا هذا.

ولكن، وبرغم كل هذا، نسعى في هذه المقالة لإلقاء الضوء على عدة أخطاء، ارتكبها هذا النرجسي، قد يكون لها بالغ التأثير في زعزعة العلاقة بين أميركا وربيبتها إسرائيل.

أولاً: معاداة أوباما

في السنة الثالثة من دراستي الجامعية في أميركا حضرت ندوة نظمتها جمعية الطلبة اليهود (الصهاينة) Hillel مع شخص أذكره باللقب «محامي إسرائيل» ولكن للأسف لا أذكر اسمه (أظنه كان محامي إيستين الشهير آلان ديرشوفيتز). في نهاية تلك الندوة التي سبقت انتخابات عام 2012 (التي ترشح فيها رومني ضد أوباما) سأل أحد التلامذة: مَن هو المرشح الأكثر تأييداً لإسرائيل (أوباما أو رومني) الذي يجب أن نصوت له؟ فكان الجواب: الحزبان يؤيدان إسرائيل بالدرجة نفسها، ويجب أن يبقى الحال كما هو عليه. صوتوا للمرشح الذي تؤيدون على أساس مشروعه الاقتصادي أو مبادئه بما يخص العدالة الاجتماعية (زواج المثليين) ولكن يجب أن نبقي إسرائيل موضع إجماع بين المرشحين. جرت الانتخابات، ونجح أوباما، وقبيل توقيع الاتفاق النووي مع إيران، حضر نتنياهو ليلقي خطاباً أمام الكونغرس يعلن فيه معارضته للاتفاق النووي. وكلنا نذكر كم مرة قاطع أعضاء الكونغرس الخطاب من كثرة التصفيق والوقوف إجلالاً. وقد مثّل خطاب نتنياهو هذا تحدياً واضحاً (لا بل إهانة) من قبل نتنياهو لأوباما. ومن بعد ذلك قام أوباما بتوقيع الاتفاق النووي بقرار رئاسي دون المرور عبر مجلس الشيوخ (كونه لم يكن ليحصل على الأكثرية عند التصويت). حسابات نتنياهو هنا كانت كالتالي: أوباما في نهاية ولايته هو بطة عرجاء، والكونغرس تحت أمري، وهيلاري كلينتون (المرشحة لخلافة أوباما) صهيونية محضة، ومن سيترشح في الحزب الجمهوري سيكون أكثر صهيونية منها. ما غاب عن بال نتنياهو هنا هو أنه في ذلك الخطاب زرع أول بذور الشقاق بينه وبين مؤيدي الحزب الديموقراطي وبين إسرائيل (التي أصبح نتنياهو صورتها في العالم). فبارك أوباما كان ولا يزال إحدى الشخصيات الأكثر شعبيةً لدى مؤيدي الحزب الديموقراطي، وهؤلاء لم يستسيغوا موقف نتنياهو يومها.

ثانياً: التقارب مع ترامب

شكّل فوز دونالد ترامب المفاجئ في ولاياته الأولى صدمةً لدى مؤيدي الحزب الديموقراطي. وكره الديموقراطيين لترامب كان يومها مباركاً من أرباب الشركات العملاقة وقطاع التكنولوجيا وشركات المحاماة والاستشارات... إلخ. الذين اعتبروا أن فوز ترامب أمر عابر ولذلك سيكون من الأفضل أخذ المسافة منه ومن جنونه (الحال ليس كذلك في الولاية الثانية). أمّا نتنياهو (وهو صديق لوالد جاريد كوشنير) فقد استغل علاقة اللوبي الإسرائيلي بترامب (لا سيما الملياردير شيلدون إيدلسون الذي تخلفه اليوم زوجته الإسرائيلية- الأميركية ميريام إيدلسون) لتمرير أجندته بما في ذلك اغتيال الجنرال قاسم سليماني، نقل السفارة الأميركية إلى القدس واعتراف أميركا بالسيادة الإسرائيلية على الجولان وانتهاءً بمباركة الحرب على غزة في عام 2021 (عملية «الرصاص المصبوب»). حسابات نتنياهو هنا كانت بأن تقاربه مع ترامب لن يؤثر على موقف الحزب الديموقراطي من إسرائيل، كون قيادة هذا الحزب مرتهنة بالكامل للوبي إسرائيل في أميركا. وهنا أيضاً تجاهل نتنياهو أنه زاد في تعميق الهوة بين إسرائيل ومؤيدي الحزب الديموقراطي (عندما أصبح نتنياهو أكثر شخص يشغل مقام رئاسة الحكومة الإسرائيلية، أصبحت صورة إسرائيل لدى الناس مرتبطة بالموقف منه).

وفي ظاهر الحال، بدت رهانات نتنياهو رابحة. فعند فوز بايدن في الانتخابات الرئاسية كان نتنياهو أول من اتصل به ليهنئه. ولم تتأثر العلاقة بين إدارة بايدن (الصهيوني) وإسرائيل بشكل سلبي بسبب قرب نتنياهو من ترامب خلال ولايته المنتهية. ولكن مع بدء الإبادة في غزة بعد السابع من أكتوبر، تبيّن أنّ ما زرعه نتنياهو من فرقة بينه (وبين إسرائيل) وبين مؤيدي الحزب الديموقراطي أصبح هوة يصعب ردمها. وقد أثبتت استطلاعات الرأي أنّ مؤيدي الحزب الديموقراطي هم اليوم أكثر تعاطفاً مع الفلسطينيين من الإسرائيليين، وأن هذا المسار يمشي بوتيرة متصاعدة وباتجاه واحد. صحيح أن قيادة الحزب الديموقراطي لا تزال صهيونية الهوى والعقيدة ولكن الأمور ليست بهذه البساطة. والانتخابات التمهيدية في فيلادلفيا وولاية ماين وانتخاب زهران ممداني —عمدة نيويورك— ما هي سوى دلالات لتغيير ليس في صالح إسرائيل.

وعند كل استحقاق لا بد لنا من العودة إلى نصيحة «محامي إسرائيل» يجب أن تبقى إسرائيل نقطة الالتقاء بين الحزبين (bipartisan issue)، ولو كنا من أنصار إسرائيل في أميركا (لا قدّر الله) لما كنا لنسرّ بما فعلَه نتنياهو من مسٍّ بالمسلمات/ المقدسات. أي بتحويل إسرائيل إلى مادة خلافية، وأحياناً إلى أحد أهم محاور الاختلاف بين المرشحين. ففي زمن ليس ببعيد كنا نرى المرشحين جميعاً يتنافسون على إثبات حبّهم وولائهم لإسرائيل، أمّا اليوم فقد أصبح تلقي التمويل من اللوبي الصهيوني (وبخاصة «آيباك») أبرز المنظمات الفاعلة فيه) أمراً محفوفاً بالمخاطر لدى المرشحين في بعض الدوائر.

ثالثاً: الإبادة والحرب على إيران

صحيح أننا كنّا نشاهد في السنوات الأخيرة هجرة مؤيدي الحزب الديموقراطي من موقع المناصر لإسرائيل (التي سُوِّقت بشكل إيجابي عبر السنوات لليساريين والليبراليين في الغرب) لموقع المؤيد لحقوق الفلسطينيين، ولكن ما لم يخطر في البال أن تياراً مناهضاً لإسرائيل سينمو في داخل الحزب الجمهوري وتيار «MAGA» بالأخص. وبالفعل، مع وصول صور النقل المباشر للإبادة في غزة، بدأت شخصيات وازنة من المؤثرين في الإعلام البديل ومن تيار «MAGA» بمهاجمة إسرائيل (ومنهم Tucker Carlson وCandice Owen، Nick Fuentes وMegyn Kelly، وهؤلاء من الأوزان الثقيلة في اليمين الأميركي)، وقد ذهبوا بعيداً» في انتقادها. زد أن هؤلاء لم تهالهم الإبادة فقط، ولكنهم أيضاً من أنصار الفكر الانعزالي الذي يقول بانسحاب أميركا من الشرق الأوسط. وقد استفظعوا جرّ نتنياهو لترامب لشنّ حرب أخرى في الشرق الوسط (هكذا تبدو الأمور من منظورهم).

الخطير هنا بالنسبة لإسرائيل (الأمر الجيّد لنا) أنها بدأت تخسر الجمهوريين بعد أن خسرت الديموقراطيين. والأخطر أن الخسائر ترتفع نسبتها لدى الفئات العمرية الشابّة. تخيّلوا أن إسرائيل تعتمد اليوم على مناصرة الناخبين الذين تزيد أعمارهم عن الستين سنة.

عودة إلى ترامب

مَن يتابع ترامب يلاحظ أنه كمؤيديه لا يكن الكثير من الودّ للبيهود كيهود (أي أنه معادٍ للسامية). على سبيل المثال، فإن ترامب يخاطب يهود أميركا ويهود إسرائيل بالجمع. وترامب، أيضاً، قد لا يكن الكثير من الود لبنيامين نتانياهو. فكما أسلفنا: بعد فوز بايدن بالانتخابات، التي لم يعترف ترامب بنتيجتها حتى اليوم، سارع نتنياهو إلى الاتصال ببايدن لتهنئته، الأمر الذي اعتبره ترامب طعنة له. وقد عبر ترامب عن امتعاضه من نتنياهو ليس عبر تقريعه، ولكن عندما عاتب يهود أميركا بأنهم لم يساعدوه في الفوز رغم أنه كان أكثر من قدّم لهم من بين الرؤساء. وهنا تبرز معاداة السامية لديه، فهو يخلط بين موقف يهود أميركا منه وما قدّمه ليهود إسرائيل!

أمّا اليوم ومع ظهور بشائر النتائج المخيبة للحرب الأميركية على إيران، فهناك احتمال (جدّي؟) بأن يقوم ترامب بلوم نتنياهو (أو إسرائيل أو اليهود) على الفشل الحاصل. وهنا معضلة ليست سهلة أمام من خسر الناخبين الديموقراطيين بأغلبيتهم وفئة الشباب في الحزبين وجزءاً لا يستهان به من تيار «MAGA».

في الخلاصة، الفكرة من هذه المقالة ليست القول إن إسرائيل ستخسر أميركا. فأميركا دولة تحكمها أولغارشية أصحاب المليارات. وكل هؤلاء من وول ستريت شرقاً حتى وادي السيليكون غرباً لم يتخلوا عن إسرائيل (بعد؟). ولكن، قد يكون من المناسب اليوم أن نعيد النظر بالصورة التي صنعها (المقامر) نتنياهو لنفسه عندما أقنع الإسرائيليين (والعرب؟) والعالم أنه صانع قرار في أميركا، فيما هو رجل نرجسي يجازف برصيد بناه غيره من الصهاينة حتى أصبحت إسرائيل شأناً داخلياً أميركياً. فلو كان أي منّا (لا قدّر الله) مكان هذا المجرم، هل كنّا لنقامر بمستقبل إسرائيل عبر الخوض بلعبة النرد هذه؟

* محامٍ

كأس العالم

أميركا بلا قناع: «القوة الخشنة» تحكم كأس العالم

منذ فوزها بملف استضافة كأس العالم 2026 رفقة كندا والمكسيك، اعتبر الكثير من المراقبين أنّ الولايات المتحدة الأميركية ستستخدم المونديال كقوة ناعمة على الساحة العالمية. لكن ما حدث كان مغايراً تماماً. إذ سحبت بلاد «العم سام» أسلوبها التعسفي في السياسات الخارجية إلى المونديال، مفضّلةً القوة الاقتصادية والعسكرية الخشنة على نظيرتها الناعمة

حسين فحص

قام كأس العالم 2026 بتهيئة الأجواء للتمجيد الذاتي بقيادة زعيم سياسي يُصوّر الانقسام والتوتر أساساً للتسلية

يمثّل كأس العالم لكرة القدم حدثاً ترفيهياً استثنائياً بالنسبة إلى المشجعين، بينما يُشكّل بالنسبة إلى الدول المُضيفة في كثير من الأحيان دفعة قوية للقوة الناعمة، حيث تستثمر الحكومات في كرة القدم لتحقيق مكاسب خارج الملعب أيضاً، من خلال تعزيز العلاقات، وجذب الاستثمارات، واكتساب مكانة عالمية مرموقة.

ظهر ذلك على امتداد السنوات وتجلّى في النسخ المونديالية القليلة الماضية، إذ كان أحد الأهداف من بطولة البرازيل 2014 هو إبراز صورتها كقوة صاعدة، كما قامت روسيا بتخفيف قيود التأشيرات في عام 2018 لإظهار صورتها كقوة عظمى عالمية منفتحة ومرحبة. وكانت استضافة قطر لكأس العالم 2022 جزءاً من مشروعها الدبلوماسي طويل الأمد لترسيخ مكانتها كدولة حديثة.

وفي ظل تعاظم الصورة الاستبدادية للولايات المتحدة أمام الرأي العام العالمي على خلفية حربها غير القانونية والظالمة ضد إيران، ومطامعها الاستعمارية بفنزويلا وغرينلاند مع تعاظم دعمها العسكري والمالي لآلة القتل الإسرائيلية، كان من المرتقب أن ترتدي بلاد العم سام قناعاً أقل دموية طوال فترة المونديال، لكنها لم تفعل، إذ تشير المؤشرات الأولية إلى أن كأس العالم 2026 سيُقدّم لأميركا في عهد رئيسها دونالد ترامب جانباً استعراضياً – قمعياً يُبرز القوة والإقصاء والمصالح الخاصة على حساب أي شيء آخر.

توترات كبيرة

كان من المفترض أن يكون مونديال 2026 احتفالاً بالشراكة الأميركية الشمالية بين الدول المضيفة الثلاث: الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، لكن التوترات تصاعدت منذ أن جاء ذلك مع رفض تأشيرات دخول الكثير من مشجعي المنتخبات المتأهلة من إفريقيا، كما رُفضت تأشيرات دخول بعض أعضاء الجهاز الفني للمنتخب الإيراني ونُقل من معسكره التدريبي في الولايات المتحدة إلى المكسيك، توازياً مع منع الحكم الصومالي عمر أرتان من دخول ميامي وخضوع المهاجم العراقي أيمن حسين للاستجواب لمدة سبع ساعات في مطار أوهير بشيكاغو، إضافة إلى منع مشجعين اسكوتلنديين من دخول أميركا، وتأخير تأشيرات منتخب المغرب...

هكذا، قدّم كأس العالم 2026 شيئاً مختلفاً عن النسخ السابقة، حيث قام بتهيئة الأجواء للتمجيد الذاتي بقيادة زعيم سياسي يُصوّر الانقسام والتوتر أساساً للتسلية، وهيئة حاكمة غارقة في المكاسب التجارية لدرجة أنها لا تُبالي بالانقسامات الاجتماعية التي تُحدثها.

ويمكن اعتبار سلوك الحكومة الأميركية تعبيراً مقصوداً عن توجهاتها في السياسة الخارجية أمام العالم، وعن قوتها أمام جمهورها المحلي، حيث يُستغل المسرح العالمي لإيصال رسالة مفادها أن الرقابة على الحدود تتشدد، وإن القرارات الرسمية أصبحت أكثر حدّة، وأن الولايات المتحدة تُفضّل لغة القوة الصلبة على فوائد القوة الناعمة.

> **تُفضّل الولايات المتحدة لغة القوة الصلبة على القوة الناعمة**

فرضت إدارة ترامب رسوماً جمركية بنسبة 25% على البضائع القادمة من كندا والمكسيك، مع تصريح الرئيس الأميركي المستفز بقوله إن الرسوم الجمركية ستجعل كأس العالم «أكثر إثارة»، مدعياً أن «التوتر أمر جيد».

أبعد من كرة القدم... منتخبات تَخرُج من الظّل!

لا أحد كان يتوقع أن تصل هذه المنتخبات إلى كأس العالم، لكنها اليوم هناك. تفرض حضورها وتكتب حكايتها وسط الكبار. هايتي والرأس الأخضر وأوزبكستان تجمعهم قصة واحدة في كأس العالم. الخروج من الظل إلى أكبر مسرح كروي في العالم

ياسمين عبيد

عندما تأهلت هايتي إلى كأس العالم 2026، لم يكن الاحتفال مجرد فرحة رياضية. ففي بلد ما تزال ذاكرته الجماعية مرتبطة بثورة الطبقات الفقيرة التي هزمت الإمبراطورية الفرنسية عام 1803، بدا التأهل وكأنه استعادة لجزء من الهوية الوطنية التي قاومت الاحتلال والفقر والكوارث على مدى قرنين من الزمن. ولم يكن من قبيل المصادفة أن يختار الاتحاد الهايتي لكرة القدم إدراج رموز مستوحاة من معركة Vertières التاريخية على القميص المخصص للمونديال.

لكن الحلم اصطدم بلوائح الفيفا التي رفضت القميص قبل أيام على انطلاق البطولة، معتبرة أن الرموز التاريخية تحمل رسالة سياسية لا تتوافق مع قوانين المسابقة. ورغم اضطرار المنتخب إلى تغيير التصميم، فإن الرسالة بقيت حاضرة. وتزداد رمزية المشاركة عندما نعلم أن التأهل إلى كأس العالم تحقق في 18 نوفمبر، وهو التاريخ نفسه الذي يحيي فيه الهايتيون ذكرى معركة Vertières، آخر معارك التحرير ضد الاستعمار الفرنسي.

قد لا تذهب هايتي بعيداً في البطولة، خسرت أولى مبارياتها مع سكوتلندا بهدف دون رد (وكُتب هذا المقال قبل مباراة البرازيل فجر اليوم) وقد لا تنافس على اللقب، لكن مجرد ظهورها على المسرح العالمي يحمل معنى يتجاوز كرة القدم.

«اسطورة» الراس الاخضر

تاريخياً، لم تكن الرأس الأخضر بلداً يتصدر العناوين. لكنها اليوم تدخل واحدة من أكبر منصات الرياضة في العالم، حاملة معها سردية مختلفة عن كرة القدم: سردية بلد صغير يحاول أن يثبت حضوره عبر التماسك لا الحجم، وعبر الإصرار لا الإمكانات.

التشكيلة مليئة بقصص ملهمة للاعبين شقّوا طريقهم بطرق غير متوقعة للوصول إلى كأس العالم. قلب الدفاع بيكو لوبيس كان يعمل مستشاراً للرهن العقاري في دبلن قبل عشر سنوات. غاري رودريغيز عمل لسنوات في خدمة البريد الهولندية. ويلي سيميدو اضطر للعب في الدرجة الرابعة القبرصية ليحصل على فرصته. نوني دا كوستا كان طالب لغات في فرنسا قبل أن تُتاح له الفرصة. أما الحارس فوزينيا، فلم يصبح محترفاً إلا في سن 24 بعد انتقاله إلى أنغولا.

خارج الملعب، جلب مشجعو الرأس الأخضر واحدة من أكثر الأجواء حيوية إلى أميركا الشمالية. يعيش أكثر من 500 ألف مواطن من البلد الصغير في منطقة بوسطن وحدها، أي أكثر من عدد السكان في الجزر التي تكوّن البلد. وقد تجعل قيود السفر والرسوم من الصعب على سكان الجزر السفر، لكن الشتات سيتحرك بأعداد كبيرة. الوافد الجديد سجل نتيجة رائعة بتعادله من دون أهداف مع إسبانيا في الجولة الأولى، وسيواجه الأوروغواي فجر الإثنين (الساعة 1:00)

يسجّله الوافدون الجدد حضوراً مميزاً في المونديال

من المونديال

الاتحاد الإيراني يشتكي للفيفا

أعلن مسؤول في المنتخب الإيراني أن اتحاد بلاده لكرة القدم سيتقدم بشكوى لدى نظيره الدولي (فيفا) بسبب «القيود» المفروضة على فريقه خلال كأس العالم والتي تمنعه، بحسب قوله، من الاستعداد لمباراته أمام بلجيكا بأريحية. واعتبر المسؤول في بيان أن هذه «القيود تتعارض مع مبدأ تكافؤ الفرص بين جميع المنتخبات المشاركة وقد تضر بالتحضيرات»، مضيفاً: «وبناء عليه، سيعبّر الاتحاد رسمياً عن استيائه ويتقدم بشكوى رسمية لدى فيفا عبر القنوات المناسبة».

وكان مدرب المنتخب الإيراني أمير قلعه نوي قد اعتبر بعد التعادل أمام نيوزيلندا 2-2 في المباراة الأولى التي أقيمت أيضاً في لوس أنجليس، أن فريقه هو «الأكثر تعرضاً للاضطهاد في كأس العالم».

ورغم هذه الصعوبات، وضع الجهاز الفني برنامجاً يقضي بأن «يصل الفريق إلى كل مدينة مضيفة قبل يومين من كل مباراة، ويعود إلى مقر إقامته في اليوم التالي للمباراة لضمان أفضل تحضير فني وبدني»، بحسب ما أوضح المسؤول الإيراني. لكن المنتخب الإيراني لم يتمكن خلال مباراته أمام نيوزيلندا، من الوصول إلى لوس أنجليس إلا عشية اللقاء، واضطر إلى المغادرة فور إطلاق صافرة النهاية. وقال المسؤول: «الوضع نفسه يتكرر اليوم قبيل المباراة الثانية لإيران أمام بلجيكا». وكانت البعثة قد طلبت الوصول إلى لوس أنجليس اعتباراً من الجمعة من أجل التأقلم قبل المباراة المقررة الأحد في الثانية عشرة ظهراً بالتوقيت المحلي، لكن البيان أشار إلى أن هذا «الطلب رُفض مجدداً».

اعتذار بطريقة خاصة

تجاوزت الروح الرياضية في مونديال 2026 حدود المستطيل الأخضر حين سجّل المدافع الأوزبكي عبد القادر خوسانوف موقفاً نبيلاً تجاه مصور تلفزيوني تعرّض لإصابة إثر اصطدام قوي جمعهما خلال المواجهة المثيرة بين أوزبكستان وكولومبيا. وأعلن الاتحاد الأوزبكي لكرة القدم أن لاعبه خوسانوف، المحترف في صفوف مانشستر سيتي، بادر بالتواصل مع المصور عبر إرسال قميصه الخاص موقعاً بكلمة «آسف»، في بادرة أراد من خلالها طي صفحة الحادثة التي شغلت المتابعين.

تعود الواقعة إلى مجريات الشوط الأول من اللقاء، حين اندفع خوسانوف بسرعة كبيرة في محاولة لقطع الكرة من النجم الكولومبي لويس دياز بالقرب من خط التماس، إلا أن زخم الاندفاع أدى إلى اصطدامه غير المقصود بالمصور الذي كان يؤدي مهماته المهنية بجانب الملعب.

ارتجاح في رأس نجم هولندا

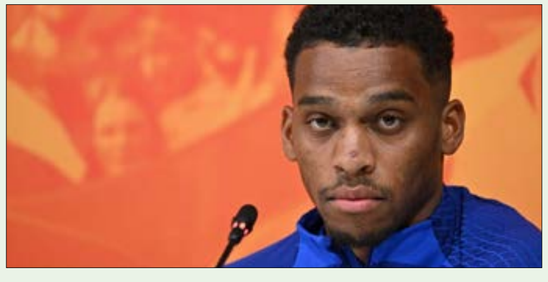

أعلن المنتخب الهولندي غياب لاعب خط الوسط كوينتن تيمبر عن مواجهة السويد ضمن منافسات المجموعة السادسة من كأس العالم لكرة القدم، وذلك بعد تعرضه لإصابة خلال التدريبات. وأوضح مسؤولو المنتخب أن تيمبر، البالغ من العمر 25 عاماً، تعرض لارتجاج خفيف في المخ إثر احتكاك وقع خلال الحصة التدريبية، حيث قام الطاقم الطبي بفحصه فوراً بعد الحادث، قبل أن يقرر عدم جاهزيته للمشاركة في المباراة المقبلة.

وفي السياق ذاته، قال زميله في المنتخب تيون كويمينرز لوسائل الإعلام الهولندية: «في اللحظة التي حصل فيها كوينتن على الكرة، ركضت إلى العمق. أراد أن يمررها لي، ثم وقع الحادث. لم يكن اصطداماً قوياً جداً حسب ما فهمت، لكن يجب توخي الحذر».

ويأتي هذا الغياب بعد يوم واحد فقط من احتفال تيمبر بعيد ميلاده الخامس والعشرين، علماً أنه شارك كبديل في التعادل 2-2 أمام اليابان في افتتاح مشوار هولندا بالبطولة. كما يواجه اللاعب ظروفاً عائلية صعبة، إذ كان شقيقه التوأم يورين قد غاب بدوره عن البطولة بسبب إصابة في الفخذ.

6 مليارات شخص يتفاعلون مع البطولة

يتوقع الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) أن يتفاعل مع مونديال 2026 نحو 6 مليارات شخص حول العالم، ما يجعله أحد أكثر الأحداث متابعةً على وجه الأرض. وفي ظل الاهتمام العالمي بهذا الحدث، يتنافس الكثير من الدول المشاركة في المونديال على كسب قلوب وعقول المشاهدين بهدف تحقيق مكتسبات مستقبلية.

يُنظر إلى المشاركة الأولى للأردن في كأس العالم كفرصة للتعريف بالمملكة أمام جمهور عالمي واسع. وأطلقت هيئة تنشيط السياحة حملة «الأردن بلا مثيل» للترويج للوجهات السياحية بالتزامن مع البطولة، كما قال وزير السياحة والآثار عماد حجازين إن المونديال يمثل منصةً مهمةً لتعزيز الحضور السياحي للأردن دولياً.

وعلى نسق موازٍ، يُنظَر إلى مشاركة منتخبات أوزبكستان وكوراساو والرأس الأخضر الأولى في كأس العالم كفرصة للتعريف ببلدانها أمام الجمهور العالمي، واستثمار الزخم الإعلامي للبطولة في تعزيز حضورها السياحي والاقتصادي والدولي. وكانت كوراساو قد وصلت إلى نهائي كأس العالم 2018، ما جعل المنتخب ينجح في لفت أنظار العالم إلى الدولة البلقانية، حيث أعلنت هيئة السياحة الكرواتية بعد انتهاء البطولة أن الزيارات إلى موقعها الإلكتروني قفزت بنسبة 250% مُقارنةً بالفترة نفسها من العام السابق، مع ارتفاع عدد الزوار الوافدين إلى البلاد بنحو 5% خلال عام 2018.

أمّا منتخب المغرب، فقد تحوّل إلى واجهة عالمية للمملكة، وعزز حضورها على الساحة الدولية وقوتها الناعمة بعد أن أصبح عام 2022 أول منتخب عربي وإفريقي يبلغ نصف نهائي كأس العالم.

«الذئاب البيضاء» حاضرة

بالنسبة إلى أوزبكستان، فإن هذا ليس مجرد ظهور أول، بل نهاية دورة طويلة من الانتظار. فالسلسلة الوثائقية حلم 34 عاماً (yillik orzu 34) روت رحلة المنتخب بين الإخفاقات السابقة والخيبات المتكررة قبل الوصول أخيراً إلى المونديال.

ورغم أن أوزبكستان تمتلك قاعدة كروية نشطة منذ الاستقلال، عبر أندية مثل باختاكور طشقند، وناساف قرشي، وبونيودكور، ونافباهور نامانغان، فإن الجديد في 2026 هو الانتقال من الحضور الآسيوي إلى الظهور العالمي.

المنتخب وقع في مجموعة قوية تضم البرتغال، كولومبيا، وجمهورية الكونغو الديمقراطية. الفوارق الفنية واضحة مع البرتغال وكولومبيا التي فازت على الفريق الآسيوي (3 – 1) في الجولة الأولى، بينما تبدو المواجهة مع الكونغو أكثر توازناً. لذلك، تبدو حظوظ أوزبكستان مرتبطة بالانضباط الدفاعي، وإغلاق المساحات، والاعتماد على المرتدات والكرات الثابتة. (المباراة الثانية ستكون بمواجهة البرتغال مساء الثلاثاء الساعة 20:00)

وبالنسبة إلى اللاعبين، فإن إلدور شومورودوف، قائد المنتخب، يمثل الوجه الأبرز لكرة القدم الأوزبكية. مسيرته في روسيا وإيطاليا وتركيا جعلته نموذجاً للاعب الذي خرج من المحلية إلى الاحتراف الأوروبي.

أيضاً، أبديكودير خوسانوف، لاعب مانشستر سيتي، يعكس تحولاً في صورة الكرة الأوزبكية. من لانس الفرنسي إلى أحد أكبر أندية العالم، أصبح رمزاً لجيل جديد قادر على المنافسة في أعلى المستويات، ما يمنح المنتخب بعداً دفاعياً أكثر صلابة.

كما لا يعتمد المنتخب على اسمين فقط، بل يضم مجموعة متنوعة مثل فيض اللهيف، مشاريبوف، أورونوف، وسيرغييف، إلى جانب لاعبين من الدوري المحلي. هذا المزيج بين المحلي والمحترف يمنح الفريق توازناً بين الخبرة والطموح.

ثلاث دول، وثلاثة طرق مختلفة تماماً، لكن الهدف نفسه في النهاية: هدف من أجل الوصول إليه يستلزم تعباً وانتظاراً وإيماناً لا ينكسر. وكأن كرة القدم هنا كانت الباب الذي فُتح أخيراً بعد سنوات من الوقوف أمامه.

> **ترفض منتخبات أوزبكستان والرأس الأخضر وهايتي أن تكون مجرّد مشارك في المونديال**

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 20 حزيران 2026 العدد 5805

قضية

فرنسا تخاف آلاء القطراوي؟

غادة حداد

رغم اختيارها ضمن برنامج «بوز» التابع لمؤسسة «كوليج دو فرانس»، المخصّصة لحماية الفنانين والباحثين في مناطق النزاع، لا تزال الشاعرة الفلسطينية آلاء القطراوي عالقة في غزة، في انتظار السماح لها بالمغادرة، وفق ما نقله موقع «تيليراما».
أثارت قضيتها، إلى جانب 86 فلسطينياً آخرين من المستفيدين من البرنامج، انتقادات واسعة في الأوساط الثقافية الفرنسية، بعدما طالب فنانون ومثقفون، من بينهم ليلى السليماني وآنييس جاوي، الحكومة الفرنسية بتوضيح أسباب تأخر عمليات الإجلاء ومنح التأشيرات.

شاعرة غزة التي كتبت الفقد

القطراوي هي شاعرة وكاتبة فلسطينية من مواليد غزة عام 1990، تُعدّ من الأصوات الشعرية التي برزت في المشهد الثقافي الفلسطيني. درست اللغة العربية وآدابها وحصلت على الدكتوراه في الأدب العربي، وعملت في مجال التعليم إلى جانب تجربتها الإبداعية. عُرفت عربياً بعد مشاركتها في برنامج «أمير الشعراء» عام 2017، كما حصدت جوائز أدبية عدّة. تحضر غزة في نصوصها، بوصفها ذاكرةً ومكاناً للفقد والصمود، وهي تجربة ازدادت قسوةً خلال الحرب الأخيرة، بعد استشهاد أطفالها الأربعة في قصفٍ إسرائيلي على منزلهم في خان يونس، لتصبح قصائدها شاهدةً على مأساة شخصية تختصر جانباً من الوجع الفلسطيني الجماعي.

رسالة عبرت الحصار

بدأت قصة القطراوي من قصيدتين وصلتا إلى الروائي والمزارع الفرنسي ماثيو يون في أيار (مايو) 2025، ضمن مختارات من الشعر الغزّي المعاصر، ترجمها الكاتب المغربي عبد اللطيف اللعبي. لم يكن يون يعرف الكثير عن الشاعرة، سوى أنها فقدت أطفالها الأربعة، لكن نصوصها دفعته إلى التواصل معها، لتبدأ مراسلات يومية بينهما عبر «واتساب»، حضرت فيها القصائد بقدر ما حضرت أخبار الحرب والخوف والحياة اليومية تحت القصف.
مع تصاعد الحرب الإسرائيلية على القطاع، شجّع يون الشاعرة على التقدم إلى برنامج «بوز»، الذي يوفر للفنانين والباحثين المهددين بسبب النزاعات، إمكانية الحصول على منحة ومغادرة مناطق الخطر، عبر استقبالهم في مؤسسات أكاديمية أو ثقافية فرنسية. وقد حصل ملف القطراوي على دعم جمعية «بيز آر نوماد» الثقافية في منطقة دروم، التي تنظّم مهرجانات وإقامات فنية وبرامج ثقافية، وتعهّدت بمرافقتها خلال وجودها في فرنسا.

اضراب تضامناً مع الشاعرة

ورغم قبولها، لا تزال القطراوي تنتظر خروجها من القطاع، في ظل تجميد عمليات الإجلاء منذ صيف عام 2025. دفع هذا الواقع «التجمع من أجل آلاء»، الذي يضم يون، إلى إطلاق نداء عام نُشر في صحيفة «لا تريبون ديمانش» في السابع من حزيران (يونيو)، مطالباً بحماية حياة الفنانين والباحثين وما يمثلونه من ذاكرة ثقافية فلسطينية.
وفي محاولة للضغط من أجل إخراجها من غزة، قرر يون في أيلول (سبتمبر) الماضي، نقل معركته من حقوله في منطقة دروم إلى أمام وزارة الخارجية الفرنسية في باريس. وفي نص نشره على موقع «روبورتير» وصف القطراوي بـ«أخته»، معلناً عن دخوله في إضراب مفتوح استمر لأسابيع، تحت شعار «سيدي الوزير، أخرجوا أختي من غزة».
يومها جلس يون من التاسعة صباحاً حتى السابعة مساءً، على مقعد عام في رصيف أورسيه، بين مقر الوزارة والجمعية الوطنية الفرنسية، مطالباً باستئناف استقبال الفلسطينيين العالقين. وأكد أنّ تحركه هو لرفض بقاء حياة يمكن إنقاذها رهينة الحسابات السياسية، داعياً الكتّاب والفنانين والموسيقيين إلى تحويل المكان إلى مساحة تضامن مع آلاء وجميع الغزّيين المنتظرين فرصة الوصول إلى فرنسا.

تبريرات رسمية

من جهتها، أكدت وزارة الخارجية الفرنسية أنها تتابع الملف، وأنها تعمل على تمكين الحائزين البرنامج من الوصول إلى فرنسا، مشيرةً إلى أنّ عمليات الإجلاء من غزة تواجه «تعقيدات كبيرة». لكن هذه التبريرات لم تقنع القائمين على البرنامج، خصوصاً بعدما بقيت الإجراءات معلّقة على إثر قرار باريس تشديد التدقيق الأمني، عقب قضية طالبة فلسطينية أُجليت إلى فرنسا، وكُشف لاحقاً عن منشورات قديمة لها وُصفت بأنها معادية للسامية.
وتؤكد مديرة برنامج «بوز» لورا لوهياك، أن تلك الطالبة لم تكن أصلاً من المستفيدين من البرنامج، معتبرة أنّ وقف الملفات بسبب هذه القضية، تحوّل إلى «عقوبة جماعية» بحق أشخاص ينتظر بعضهم منذ أكثر من عام ونصف فرصة الخروج. وتشير إلى أن دولاً أخرى، من بينها إيطاليا، تمكنت خلال الفترة نفسها من إيجاد حلول وتنظيم عمليات إجلاء، عبر آليات مثل الممرات الجامعية.
وترى الكاتبة ومديرة المتحف الوطني لتاريخ الهجرة في فرنسا كونستانس ريفيير، وهي من الموقّعين على النداء، أنّ القضية تكشف تناقضاً في التعامل مع الأشخاص القادمين من مناطق الحروب. وتقول إنّ البرنامج أنشئ لحماية شخصيات مهددة، لكن وصول بعض من اختارهم بات معطلاً من دون تفسير واضح. وتشير إلى أنّ استقبال باحثين وفنانين لا يثير دائماً النقاش نفسه، معتبرة أنّ كون المستفيدين قادمين من فلسطين وغزة تحديداً يزيد حساسية الملف.

المفكرة

شاطئ بيروت يروي حكايات العابرين

■ ما الذي يبقى من المدينة بعد مرور الزمن؟ وما الذي تحفظه الأماكن من حكايات الذين عبروا فيها؟ بين البحر والذاكرة، يعود فيلم «والأسماك تطير فوق رؤوسنا» للمخرجة ديما الحر إلى شاطئ بيروت العام، إذ يعرض الفيلم في «سينما متروبوليس» ابتداءً من 25 حزيران (يونيو).
بعد عشرين عاماً على تصويرها الأول على الشاطئ، تعود الحر لتلتقي مجدداً برضا وتتعرف إلى عادل وقاسم. ومن خلال علاقتهم بالبحر، وأحاديثهم وطقوسهم اليومية، ترسم المخرجة بورتريهاً حميماً عن الزمن والانتظار، وعن التحولات التي مرّت على بيروت وسكانها.
بعيداً من الضجيج، يصغي الفيلم إلى التفاصيل الصغيرة وإلى أشخاص واصلوا العيش وسط التغيّرات المتلاحقة. وبين الأمواج والذكريات، يصبح «والسمك يطير فوق رؤوسنا» تأملاً في الصمود، وفي قدرة الإنسان على التمسك بالأمل رغم تبدّل الأمكنة.
«والأسماك تطير فوق رؤوسنا»: ابتداءً من الخميس 25 حزيران (يونيو) ـ «سينما متروبوليس» (مار مخايل). للاستعلام: 81/069530

زكي ناصيف: صوت الوطن الذي لا يشيخ

■ في استعادة لإرث موسيقي حمل صورة لبنان وذاكرته، تحتفل جوقة وأوركسترا «فيلوكاليا» بالذكرى الـ110 لولادة زكي ناصيف (الصورة)، في أمسية خاصة تقام في 4 تموز (يوليو) على خشبة «مدرّج زوق مكايل»، بالتعاون مع «برنامج زكي ناصيف للموسيقى» في «الجامعة الأميركية في بيروت». تحمل الأمسية عنوان «صوت الوطن الجميل»، وتعيد إحياء مجموعة من أعمال ناصيف التي طبعت الذاكرة الجماعية، عبر توزيع موسيقي جديد بقيادة الأخت مارانا سعد، وبمشاركة رفقا فارس كصوليست، وفرقة «برجا» للدبكة، إلى جانب الموزّع إياد كنعان والضيفة الخاصة زينة صالح كيالي. تقدم الحفلة تحية لمسيرة أحد أبرز أعمدة الأغنية اللبنانية، الذي جمع في أعماله بين الكلمة واللحن والهوية الشعبية، وترك أرشيفاً موسيقياً ارتبط بالأرض والناس والحنين إلى صورة لبنان التي غنّاها.

«زكي ناصيف 110 صوت الوطن الجميل»: السبت 4 تموز (يوليو) – الساعة 8:30 مساءً - «مدرّج» (زوق مكايل). للاستعلام: 09/230750

كوميديا الحب حين يتعب

■ ماذا يحدث حين يستيقظ شخصان بعد سنوات من الزواج ليكتشفا فجأة أنّ ما جمعهما لم يعد كما كان؟ من هذه اللحظة العبثية تنطلق مسرحية «حبيبتي، رجعي ع تخت»، التي تُعرض من 2 حتى 23 تموز (يوليو) في «كيد»، في اقتباس عن مسرحية «فتنة جميلة» للكاتب غريغ كاليريس، وإخراج لينا أبيض.
تدور الأحداث حول جاد ولين، زوجين مضى على زواجهما اثنا عشر عاماً، يستيقظان في منتصف الليل أمام حقيقة مربكة: الحب الذي عرفاه يبدو كأنه اختفى. وبين الخوف من النهاية والرغبة في استعادة ما ضاع، تبدأ ليلة طويلة من المواجهات والمواقف الكوميدية ولعب الأدوار والاعترافات المؤلمة.
بأسلوب يمزج الضحك بالهشاشة الإنسانية، يطرح العمل أسئلة حول العلاقات والزمن والتغيّرات التي تصيب المشاعر، وحول ما إذا كان الحب يختفي فعلاً أم يحتاج فقط إلى طريقة جديدة للعودة. تؤدي البطولة سحر عساف وإيلي يوسف.
«حبيبتي، رجعي ع تخت»: من 2 حتى 23 تموز (يوليو) – الساعة 8:00 مساءً - «كيد» (الكرنتينا). للاستعلام: 70/501705

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01 /666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي
كلمات
السبت 20 حزيران 2026
العدد 5805 السنة العشرون
Samedi 20 Juin 2026 no 5805 20ème année

التراث الثقافي في زمن الحرب: توثيق وسرد حكاية الصمود
2

إسقاط الجنسية عن كاتب المهمشين وفاقدي الاعتراف

طالب الرفاعي هو الكويت (والخليج)!

ما تزال ارتدادات قرار سحب الجنسية الكويتية من الروائي طالب الرفاعي (1958) متواصلة في المشهد الأدبيّ. إذ شهد الكاتب المعروف موجةً واسعة من التضامن في الأوساط الثقافية العربية والدولية، أعادت تسليط الضوء على مكانة الكاتب الذي يُعدّ أحد أبرز الأسماء في الرواية والقصة القصيرة في الخليج.

أخيراً، خرجت رسالة تضامن وقّعها عشرات الأكاديميين والمترجمين والكتّاب العرب والأوروبيين (متوافرة على موقعنا)، عبّروا فيها عن صدمتهم من قرار سحب الجنسية، معتبرين أنّ الرفاعي «ليس مجرد مواطن كويتي فقد جنسيته، بل أحد أبرز الوجوه الثقافية التي أسهمت في تشكيل المشهد الأدبي الكويتي والعربي المعاصر».

الكاتب الذي أصدر عدداً كبيراً من الروايات والمجموعات القصصية التي تناولت التحولات الاجتماعية في الكويت والخليج، وعُرف بانشغاله بقضايا الفئات المهمشة، من بينها العمال الأجانب وفئة البدون، تُرجمت أعماله إلى لغات عدة، ما جعله من أكثر الروائيين الكويتيين حضوراً خارج العالم العربي. لم يقتصر تأثيره على الكتابة الإبداعية، بل لعب دوراً ثقافياً من خلال تأسيس «جائزة الملتقى» للقصة القصيرة العربية عام 2015، التي تحولت خلال سنوات قليلة إلى إحدى أبرز الجوائز العربية المتخصصة في هذا الجنس الأدبي.

تتجاوز هذه القضية شخص طالب الرفاعي نفسه، فقرار سحب الجنسية شمل خلال الفترة الأخيرة عدداً من الشخصيات الكويتية في مجالات مختلفة، بذرائع مختلفة كـ «تصحيح ملفات الجنسية»، و«معالجة حالات التزوير»، أو استناداً إلى مواد قانونية تتعلق بـ«مصلحة الدولة العليا».

وفي رسالتهم، رأى الموقعون أنّ سحب الجنسية من الرفاعي يمثّل خسارة رمزيةً للمشهد الثقافي الكويتي، مؤكدين أنّ الكاتب ارتبط اسمه لعقود بالأدب الكويتي وبالحياة الثقافية في بلاده، وأنّ مساهماته الإبداعية جعلته أحد أبرز سفراء الثقافة الكويتية عربياً ودولياً.

حماية الذاكرة

تطرح الحرب الإسرائيلية على لبنان اسئلة تتجاوز إعادة الإعمار إلى مصير الذاكرة الجماعية نفسها، مع استهداف مواقع اثرية وتاريخية، بينها قلعتا صور وبعلبك، وقلعتا يحمر الشقيف ودوبيه (شقرا)، إضافة إلى مقام شمعون الصفا في البياضة والمسجد الاثري في بليدا، تبرز اهمية توثيق التراث المادي وغير المادي وحفظه بوصفه جزءا اساسيا من حماية الهوية الوطنية والذاكرة الجماعية

التراث الثقافي في زمن الحرب: توثيق وسرد حكاية الصمود

بتول بشير*

يشكل التراث الثقافي للأوطان والشعوب الوعاء الحامل للهوية الجماعية وجسر العبور من الماضي وضمان استمرارية الذاكرة الجماعية عبر الأجيال. لذلك، فإن الحرص على ديمومة الإنتاج الثقافي على تنوعه، ثم حفظه من الضياع، يُشكلان جوهر استمرارية الذاكرة الوطنية. ولأن تاريخ الشعوب لا يمكن اختصاره بالجوانب المادية كالأبنية الأثرية التي خلّفها لهم من سلف، فلا بد للتراث أن يشمل الجوانب غير المادية التي انتجتها الدينامية المجتمعية كالمعارف والتقاليد والعادات.

ومع استمرار التطور في آليات الحفظ التقنية المثلى لذلك التراث، تبرز الإشكالية حول حمايته في حالات الحروب تحديدًا، حيث يخرج النقاش من الحيّز الفكري- التقني ليستقر في خانة تجعل من الاهتمام بالتراث وصونه أداة فعّالة بيد المجتمع ليناضل بها نحو البقاء، فتوجب خطوات عملية وسريعة، ولو لم تُطابق الشكل المثالي من الناحية التقنية.

حماية الجسد دون الروح

ولما كان التشريع القانوني أحد أبرز أعمدة حماية التراث، ولا سيما في حالات الحروب والنزاعات، فإن الواقع يُظهر تأخر صدور القوانين الحمائية، كما الصعوبة في تطبيقها، مع التفاوت أصلاً بين جانبي التراث المادي وغير المادي، فقد استغرقت المؤسسات الأممية والدولية فترات زمنية طويلة حتى كرّست مبدأ حماية التراث غير المادي والالتزام بمكافحة تدميره المتعمد. وبعد طول انتظار كانت الخطوة البارزة في إعلان اليونسكو عام 2003 لاتفاقية دولية حول صون التراث الثقافي غير المادي لأنه عنصر مهم للتماسك الاجتماعي، وحددت الاتفاقية جوانب خمسة للتراث غير المادي: التقاليد الشفهية، فنون الأداء، الممارسات الاجتماعية، المعارف المتعلقة بالطبيعة، والمهارات المرتبطة بالحرف التقليدية.

لقد سدّت تلك الاتفاقية المتأخرة الثغرات التي خلّفها القانون الدولي الإنساني، حيث استحوذ التراث الثقافي المادي حصرًا على اهتمام المشرعين؛ فاتفاقيات جنيف 1949 تبعها في العام 1977 بروتوكولان هدفهما توفير إطار قانوني يعزز حماية المدنيين والأعيان غير العسكرية أثناء النزاعات المسلحة، وألحق أيضًا باتفاقيات لاهاي 1954 بروتوكولٌ في العام 1999 يعتبر أشمل معاهدة دولية ملزمة مخصصة لحماية التراث الثقافي المادي. والسؤال الذي يُطرح هنا: هل يمكننا الفصل عند حماية التراث الثقافي لمجتمع ما بين الجانب المادي وغير المادي، فنصيح بذلك كمن يفصل الروح عن الجسد؟ ثم أليس الجانب المادي للتراث هو نتاج الإنسان بمعارفه وعاداته وفنونه وأدواته؟ فالأبنية التاريخية والقلاع الأثرية، على سبيل المثال، ليست مجرد مبانٍ من حجر، إنما هي مزيج من التجارب الإنسانية المكوّنة من العلوم، الفنون، الأنظمة السياسية التي سادت ونمط العيش الذي خَبِره الإنسان وقتذاك.

تدمير العمران لطمس الهوية

وعن حالات الحروب وحماية التراث، تجسد الحرب الإسرائيلية على لبنان منذ خريف سنة 2023، نموذجًا حيًا على التدمير المُتعمد، فالمعارك لم تقتصر على المنطقة الحدودية اللبنانية جنوباً لجهة فلسطين المحتلة حيث دُمرت القرى بأكملها، إنما امتدت إلى العمق اللبناني وصولاً إلى عاصمته وشماله وبقاعه. وقد شمل التدمير شتى أنواع العمران اللبناني من منازل وحارات قديمة في القرى إلى أبنية تشبه الأبراج في العاصمة، أبنية بعضها يضم مؤسسات تعليمية واقتصادية وثقافية واجتماعية ودينية وحتى ترفيهية. ورغم ادعاءات الحماية للأماكن الأثرية، عند رفع الدرع الأزرق، لم تسلم قلاع صور وبعلبك ويحمر الشقيف ودوبيه (شقرا) من القصف المباشر أو من شظاياه. كما طال التدمير المباشر مقام شمعون الصفا في البياضة قرب صور والمسجد الأثري في بليدا، وسجلات النفوس في مدينة بنت جبيل، واللائحة تطول وتحتاج إلى جهد توثيقي تفصيلي ودقيق لإحصاء تلك الانتهاكات بحق التراث بشقيه المادي وبالتالي غير المادي.

يستهدف العدو الإسرائيلي في حربه الأطول على لبنان الجسد العمراني كما الأرواح البشرية، فالعمران والإنسان يتناغمان في حركة متواصلة تُنتج ملامح الهوية الفردية والجماعية للأوطان. ولذلك يسعى العدو إلى القضاء على البشر كعقاب على رفض الاحتلال، وفي آن، يدمر البنيان بهدف اجتثاث الهوية الاجتماعية والثقافية لمن بقوا أحياء، فاستهداف المنازل يسلخ الإنسان بمعارفه وعاداته وفنونه وأدواته؟ فالأبنية التاريخية والقلاع الأثرية، على سبيل المثال، ليست مجرد مبانٍ من حجر، إنما هي مزيج من التجارب الإنسانية المكوّنة من العلوم، الفنون، الأنظمة السياسية التي سادت ونمط العيش الذي خَبِره الإنسان وقتذاك.

واستهداف المدرسة والجامعة يحرم الطلاب من حقهم بالتعلم والتطور، واستهداف الأماكن العبادية والساحات في البلدات يمنع التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد، واستهداف المراكز الثقافية والمكتبات يحد من التعبيرات والقدرة على الإبداع، واستهداف الأسواق في الريف والمدن يعيق الإنتاجات الحرفية والتراثية. وإزاء كل ذلك، كيف يمكن لهذا المجتمع حماية إرثه الثقافي من الطمس؟

مواجهة اصحاب الارض

تكثر الإجراءات والخطط التقنية التي تسعى إلى حماية التراث قبل الحروب وخلالها وبعدها، كما تتعدد المؤسسات الدولية والحكومية والأهلية المعنية بذلك. فمن الجمع والتنظيم والحفظ، ثم الرقمنة والنسخ الاحتياطية المادية والسحابية، تقنيات في تطور مستمر، لكنها على أهميتها، لا تشكل الحل الحصري، أمام العدوان الإسرائيلي وأهدافه الإبادية. وللدولة ومؤسساتها دور واجب خلال الحرب في توثيق الانتهاكات وتسجيلها لدى المنظمات الدولية، ولكن عجز المؤسسات الدولية من جهة، وإهمال السلطة الحالية من جهة أخرى، الذي قد يكون متعمداً، أفقدا الناس ثقتهم بالمؤسسات، ورميا بالمسؤولية على المجتمع المحلي. وبالتالي انحسر التصدي على مستوى الأفراد، أصحاب الأرض أنفسهم، الذين اتخذوا القرار بالمواجهة المباشرة، وفي أثناء الحرب، عبر الاستمرار في إنتاج التراث الثقافي، وربما عبر خلق أشكال جديدة تتكيف مع الظروف المستجدة، فتحول المجتمع ليصبح إحدى أقوى أدوات الصراع لحفظ الهوية.

إن فعل صمود المواطنين في لبنان في مواجهة آلة القتل والتهجير، يُعد من الصور الواقعية حول حماية الشعوب لممتلكاتها الثقافية. ولذلك لم يعد مستغرباً أنه عقب كل جولة تدمير تتعرض لها البلدات والمدن، يسارع المواطنون للإعمار بما تيسر لهم من إمكانات، واستئناف حياتهم وعملهم. ورغم ذلك التهجير المتكرر الذي يتعرض له أبناء القرى والمدن من منازلهم، تراهم يحرصون على تحالفاتها وخصوماتها... قبل أن تكمل:

«قدّمتم للبلد كل شيء بلا منّة، فماذا قدّم الآخرون؟ كلنا؟ لا شيء!» «قدّمتم للبلد»! هل تعرف المرأة أن هذا الإنصاف البديهي من «الآخرين» كان أقصى ما يرجوه الجنوبيون، وصار فوق ما يطمحون إليه؟

وفي «حقل العزيمة»، يقبّل صديق آخر لوالدك جبينك وتغشى عينيه دمعتان. كان يتمنى ألا تعود إلى قلبه وعقله ولسانه أسماء بلدات جنوبية جميلة قضى فيها ثلاثاً من أحلى سنوات عمره، من خلال نشرات الأخبار.

أوراق من دفتر الحرب

لستَ وحيداً

مهدي زلزلي

بيتٌ غريب في مدينة بعيدة تدخله للمرّة الأولى حاملاً عائلتك الصغيرة بعيداً من أهوال الحرب، فتكتشف أن اسمك سبقك إليه قبل سنوات، محمولاً على أجنحة أعداد قديمة من مجلة «العربي» الكويتية زيّنَت مكتبتَه، يعود تاريخ صدورها إلى زمن شهِدَ إطلاق مسابقة قصصية شهرية حملت اسم «قصص على الهواء». مفارقةٌ من مفارقات الكتابة والحياة، وتكثيفٌ حرفيّ لفكرة الأدب الذي يحملنا إلى أماكن لا تطأها أقدامنا، أو قد تطأها بعد زمنٍ لا نعلمه وفي ظرفٍ لا نتوقّعه.

حزام الامان

لا تستطيع الانقطاع عن الجنوب تماماً، تختار أوقات النهار الأكثر هدوءاً من الليل لزياراتٍ سريعة بهدف سقاية تينتَين غضّتَي الأطراف زرعتهما قبل الحرب بيومين فقط، ولإحضار بعض الكتب والأوراق والمستندات. تسلّم على العابرين القلائل الذين تلتقيهم من «صامدين» أو «زائرين» مثلك، وتلمح في أعين بعضهم نظرة استغراب لا تفهمها. في واحدةٍ من هذه الزيارات، تقرّر قضاء ليلة في منزل شقيقتك في قرية جنوبية هادئة نسبيًا لم يسبق استهدافها أو إنذارها. وبعد سهرة أنيسة حول كانون الفحم في المنزل الأساسي للعائلة الكبيرة التي يقطن أفرادها في منازل متجاورة، تعود سيرًا على قدميك ونسيم الجنوب يملأ رئتيك بعبير يصعب وصفه. وبعد منتصف الليل بساعة ونيف تتوجّه إلى السرير كي تنام.

وقبل أن يتمكن النعاس منك يأتي الإنذار المباغت للقرية الآمنة للمرّة الأولى، فتخرق ليلها الهادئ أصوات محرّكات السيارات المغادرة نحو مناطق أكثر أمناً. تقرّرون البقاء خلافاً للجميع، وتسالك شقيقتك مازحةً إن كنتَ قد تحوّلتَ إلى واحد من «الرجال الخطرين» في غفلةٍ منها، فتطمئنها إلى أنك «أصغر من هدف عسكريّ» وأنك لا زلت كما تعرفك، مجرّد كاتب مسكين لا يلقي له أحدٌ بالاً ما خلا بعض القرّاء المخدوعين، ثمّ تنشغلان ومعكما زوجها وولديها بإحصاء الصواريخ التي تصفر فوق رؤوسكم قبل أن تنفجر في أماكن قريبة، قبل أن يعود الهدوء مجددًا مع مطلع الفجر.

نجوتَ مصادفةً، ولكن الذئاب لم تختفِ بالاعبِ النرد!

من أصل جسرَين يصلان جنوب النهر بشماله تبقّى واحدٌ فقط، يعلم الجميع أنه سيلحق بصاحبه ولكنهم لا يعلمون التوقيت. يوصيك صهرك عند مغادرتك صباحاً بزيادة سرعة السيارة عند الوصول إليه رغم علمه أن الحذر لا يغني من قدر. حين تصل إلى الجسر لا ترى في التزامك بالنصيحة سوى ضرب من ضروب العبث، ثم تلتقت فجأةً إلى ما هو أكثر عبثية: حول جسدك يلتفّ بثقة حزام الأمان الذي لم يعد يفارقك منذ نجاة صديقك الأقرب بفضله من حادث سير مروّع. الآن فقط أدركت سبب نظرة الناس المستغربة إليك في أماكن الخطر. ماذا في وسع أحزمة الأمان أن تفعل في مواجهة أحزمة النار؟

ارض البرتقال

في زيارةٍ أخرى، تحمل في طريق العودة ما اتّسع له صندوق السيارة الخلفيّ من برتقالٍ وليمون حامض، بعضه توزّعه على الصامدين، وبعضه الآخر تتركه لأفراد العائلة الكبيرة النازحة، الموزّعين على جغرافيا الوطن.

تشعر أن المشهد كله «ديجافو» ولا تدرك لماذا، قبل أن يقفز إلى ذهنك غسان كنفاني مجدّداً، لحظة ابتسم والدك لرؤيته أخيراً شيئاً فيه رائحة الأرض. هل كان الفدائيّ يستغل تسلله الليلي إلى البلاد للعودة ببرتقالها إلى والده في «عائد إلى حيفا»؟ أم في «أرض البرتقال الحزين»؟ أم في «عالم ليس لنا»؟

لستَ فدائيًا ولو جمعتك بالفدائيين المخاطرة والبرتقال وحبّ البلاد كما لم يجمّها أحد، وأشياء أخرى لا تعدّ... لست فدائيًا ولكنك «عائد» حتمًا بفضل الفدائيين، وهذا العالم لنا!

في «حقل العزيمة»

«يا لصبركم أمام عظيم تضحياتكم، كلما استعظمتُ شيئًا تذكّرتُه، فتضاءل في عيني ما كان يشغلني من توافه همومي حتى تلاشى»... تقول لك امرأةٌ في «بطرّام»، جمعت والدها بوالدك صداقة وزمالة تدريس قبل خمسين عاماً، قبل أن تفرّقهما الحرب والجغرافيا وتنقطع أخبار واحدهما عن الآخر. تؤكد أنها لا تعرف السياسة ولا الهندسة بجيب: «الهندسة علّمتني كيف أبني الأشياء، وأنا هنا أبني شيئًا يشبهني»، أمّا «زينة»، فتقول: «نحن لا نبيع شموعًا وعطورًا، نحن نصنع لحظات».

كبر مشروعهما، وكان الأطفال يفرحون عندما يشاهدون «نور» يسكب الشمع الساخن في القوالب، وكانت «زينة» تكتب أسماءهم بخطّها الجميل على العلب، وأصبح بيتهم يشبه قطعة سكر وسط مدينة. وجاءت حرب العام 2024 فنهضا على قصف يطال المكان، وتكسّر الزجاج من حولهما، فاحتضنت «زينة» صندوق العطور، وأسرع «نور» يطفئ النار التي اشتعلت قرب البيت، ليستطيعا الخروج، ولم يبقَ من منزلهما سوى جدار نصف محترق ورائحة شمع مذاب، تختلطُ بالغبار.

وانتقلا إلى بيت أهلها، فأعادا ترتيب الحياة من جديد، وعاد المشروع إلى العمل، وبدأ الشمع يذوب من جديد. ومع محاولات الجميع في حثّهما على البحث عن عمل مستقر ثابت، وعن حياة أخرى، كانا يشعران بأنّ المشروع لم يعد مجرّد مصدر رزق، لقد صار ذاكرتهما المشتركة، وطريقتهما في مقاومة الخراب.

وفي ليلة رمضانيّة من شهر آذار في العام 2026 عادت الحرب من جديد، وكان وقعها أقوى على ضيعتهما، والغارات تشتدّ، والأصوات تدعوهما إلى المغادرة وأن ينجوا بروحيهما، فأصرّا على البقاء والصمود، فالرحيل كان يعني الابتعاد عن حلمهما الصغير، والبقاء دليل عزيمة وصمود ومواجهة، وعندما يشتدّ القصف ينشغل «نور» بصنع الشموع بدلاً من النوم، أمّا «زينة»، فكانت تحضّر علب هدايا للنازحين، وتحرص على وضع رسومات ملوّنة فوقها رغم ازدياد أصوات الغارات.

وفي ليلة البمة بينما كانت أصوات الطائرات تقترب، انشغلا بتجهيز طلبيّة لم تُسلّم أبدًا، كانت «زينة» تكتب أسماء أطفال الحيّ على هدايا صغيرة، وكان «نور» يخلط آخر زجاجة عطر صنعها بيديه. فهمس في أذنها: «هل ندمت يومًا على اختيارنا هذا الطّريق؟». ابتسمت وأجابت: «لو عاد العمر لاخترتك، واخترت الضّوء نفسه، حتّى لو انتهى بنا الأمر وسط الحرب».

وفي ظهر يوم من أيام الحرب المريرة، سقط الصّاروخ على المكان كلّه، واختفى الصّوت والضّوء دفعة واحدة. لكنّ رائحة العطر بقيت عالقة في المكان أيامًا طويلة، ومن بين الرّكام وجد الدّفاع المدنيّ صندوقًا معدنيًا بقي مغلقًا، وفي داخله شموع بيضاء لم تذب، وزجاجة عطر سليمة، وورقة بخطّ أنثويّ جميل، فيها عبارة: «إذا وصلت هذه الهدايا إلى أحد، أخبروه أنّ الحرب مرّت من هنا... لكنّ الحبّ مرّ أيضًا».

* أستاذة أكاديمية وقاصة وناقدة

1- قصّة مهداة إلى روح الشّهيدين العروسين محمد جمول وسكينة مكي رحمهما الله.

قصة

رائحة بيت 1

دية فرحات*

في بيت صغير تعلوه شرفة ضيقة تفوح منها رائحة الورد عاش «نور» و«زينة» عامهما الأوّل يسرقان الزّمن من يد العالم، بعد أن تزوّجا في صيف هادئ، قبل أن يتحوّل بلدهما إلى خرائط دخان وأخبار عاجلة.

كان «نور» قد تخرّج من كليّة الهندسة، أمّا «زينة»، فتخصّصت تكنولوجيا علوم وغذاء، وتعوّدا أن يسمعا عبارة «المستقبل أمامكما»، الوظيفة المضمونة أهمّ من الأحلام الصّغيرة»، ومع ذلك فلم يشعرا بالحزن لعدم تمكنهما من الحصول على عمل، وظلّا يحلمان بمشروع يستطيعان أن يؤمّنا عيشهما في عالم لم يستفد من طاقتهما العلميّة ومن شهاداتيهما.

وفي ليلة شتويّة انقطعت فيها الكهرباء، أشعلت «زينة» شمعة برائحة عطر زهر الكرز، فامتلأت الغرفة بضوء خافت، فقال «نور»: «شمعة واحدة جعلت البيت أهدأ من كل شيء»، فضحكت «زينة» قائلة: «لأنّ الضّوء الذي نصنعه بأيدينا مختلف». وفي تلك الليلة كانت البداية.

أخذا يصنعان الشّموع الملوّنة، والعطور والهدايا الصّغيرة للأطفال والعشّاق، وأطلقا على مشروعهما الصّغير «رائحة بيت»، وكانت «زينة» تردّد دائمًا: «النّاس تحتاج إلى ما يذكّرها بأنّ الحياة ليست كلّها حربًا». وعندما يُقال له كيف تترك كيف أبني الأشياء، وأنا هنا أبني شيئًا يشبهني»، أمّا «زينة»، فتقول: «نحن لا نبيع شموعًا وعطورًا، نحن نصنع لحظات».

كبر مشروعهما، وكان الأطفال يفرحون عندما يشاهدون «نور» يسكب الشّمع السّاخن في القوالب، وكانت «زينة» تكتب أسماءهم بخطّها الجميل على العلب، وأصبح بيتهم يشبه قطعة سكر وسط مدينة. وجاءت حرب العام 2024 فنهضا على قصف يطال المكان، وتكسّر الزّجاج من حولهما، فاحتضنت «زينة» صندوق العطور، وأسرع «نور» يطفئ النّار التي اشتعلت قرب البيت، ليستطيعا الخروج، ولم يبقَ من منزلهما سوى جدار نصف محترق ورائحة شمع مذاب، تختلطُ بالغبار.

وانتقلا إلى بيت أهلها، فأعادا ترتيب الحياة من جديد، وعاد المشروع إلى العمل، وبدأ الشّمع يذوب من جديد. ومع محاولات الجميع في حثّهما على البحث عن عمل مستقرّ ثابت، وعن حياة أخرى، كانا يشعران بأنّ المشروع لم يعد مجرّد مصدر رزق، لقد صار ذاكرتهما المشتركة، وطريقتهما في مقاومة الخراب.

وفي ليلة رمضانيّة من شهر آذار في العام 2026 عادت الحرب من جديد، وكان وقعها أقوى على ضيعتهما، والغارات تشتدّ، والأصوات تدعوهما إلى المغادرة وأن ينجوا بروحيهما، فأصرّا على البقاء والصّمود، فالرّحيل كان يعني الابتعاد عن حلمهما الصّغير، والبقاء دليل عزيمة وصمود ومواجهة، وعندما يشتدّ القصف ينشغل «نور» بصنع الشّموع بدلاً من النّوم، أمّا «زينة»، فكانت تحضّر علب هدايا للنّازحين، وتحرص على وضع رسومات ملوّنة فوقها رغم ازدياد أصوات الغارات.

وفي ليلة البمة بينما كانت أصوات الطّائرات تقترب، انشغلا بتجهيز طلبيّة لم تُسلّم أبدًا، كانت «زينة» تكتب أسماء أطفال الحيّ على هدايا صغيرة، وكان «نور» يخلط آخر زجاجة عطر صنعها بيديه. فهمس في أذنها: «هل ندمت يومًا على اختيارنا هذا الطّريق؟». ابتسمت وأجابت: «لو عاد العمر لاخترتك، واخترت الضّوء نفسه، حتّى لو انتهى بنا الأمر وسط الحرب».

وفي ظهر يوم من أيام الحرب المريرة، سقط الصّاروخ على المكان كلّه، واختفى الصّوت والضّوء دفعة واحدة. لكنّ رائحة العطر بقيت عالقة في المكان أيامًا طويلة، ومن بين الرّكام وجد الدّفاع المدنيّ صندوقًا معدنيًا بقي مغلقًا، وفي داخله شموع بيضاء لم تذب، وزجاجة عطر سليمة، وورقة بخطّ أنثويّ جميل، فيها عبارة: «إذا وصلت هذه الهدايا إلى أحد، أخبروه أنّ الحرب مرّت من هنا... لكنّ الحبّ مرّ أيضًا».

* أستاذة جامعية

قصائد

ربما يخطئ الإله

أمل عمر *

لستُ امرأةً صالحة

لستُ امرأةً صالحةً بمعاييرِ الصلاحِ
ولم يُسمّني أبي باسمٍ إحدى زوجاتِ
الأنبياءِ
أو النساءِ القانتاتِ.
لم أزُرْ مكةَ قطّ.
ولستُ درويشاً ولا شيخةَ طريقةٍ
بالطبع.
لكنّ اللوعةَ تُنقّي البصر،
فنغدو صُلّاحاً ودراويشَ في لحظةٍ
حنين
نُتحرِّرُ من قبضةِ الأجساد
من حصارِ الأمكنة
نحلّقُ مثلَ المبروكين.
أُغمِضُ عينيَّ فأرى وطناً قصياً
وأحبّاءَ بعيدين.
أنا الآنَ أرى أمّي
بوضوحٍ من على بعد خمسة آلاف
ميل،
دون تدخل الإنترنت
تتحدّثُ عني
تذكّرُ اسمي لجارتِها
التي تصنعُ القهوة
وتلعنُ زوجها البخيل والرئيس.
تقولُ أمي بحسرة:
ابنتي لا تَضع الحنّاء يا زينب
وتصرُّ على ارتداء الأسود والجينز
تكتبُ القصائد وتدور في المقاهي
الأجنبية بلا هدف
تتحدّثُ عن الحب كثيراً
وأدركُ بقلبي أنها تكذب.
وأبي الميت
يمُدّ يديه في تردّد
يريدُ معانقتي لكنه يخاف
إن عانقني أموتُ مثله
فينسحب
يُجَرجِرُ أشواقه ويذهب
ويُعلنُ المنبه موعد إيقاظ أطفالي
للمدرسة
ينتزعني من حلقةِ الدراويش تلك
يُرجعني لمكاني.
تصلّي أمي الفجر
يعود أبي للنوم في قبره
أذهبُ للمطبخِ لأصنع الشاي
بالحليب.

لذة

لحظةُ ارتطامي بمائك
ولادتي منك
شهقت الغابة
وانحدر القمرُ بزاويةٍ حادّةٍ
مثل سيفٍ ساموراي.
لحظتَها استقام الكون
واستدارت روحي
أدركتُ اللذّة
فهمت.

لو كان لي مِنقارٌ مكان شفتي

لو كان لي مِنقارٌ مكان شفتيّ
لـ ظللتُ العُمر كلّه انقُرُ صدرَك
أحدثُ في غاباته الخرابَ
أُغيِّرُ مجرى النهر، أفزِعُ الحوريات
لكن للأسف
لي شفتان خائنتان
يُمكِن إخمادُ ثورتهما بقُبلة.

الأخطاءُ بالغةُ الصواب

ما ذنبُنا؟
إن بُعِثتْ أرواحُنا حرّة
لا موضعَ فيها لقفلٍ
ولا
لكتابةِ مرسومِ الردعِ المقدّس.
صُمِّمنا هكذا،
بعطبٍ جميلٍ في المشاعر.
ربما يخطئُ الإلهُ أيضاً
لكن أخطاءُ الآلهة
مقصودةٌ على أية حال
دائما لسرٍّ نبيلٍ لا تُدركه عقولُنا
الفانية.
ما ذنبُنا...
إن كنا لا نَسأمُ
من تكرار الأفعال المدرّجة
تحت قائمة المعاصي؟
نحن خطّاؤون ومذنبون في الأصل
لذلك أوجد الربُّ الأنبياء.
الأخطاءُ بالغةُ الصواب،
اللذيذة
تهبطُ بنا في كلّ رعشةٍ درجة
وفي كل قُبلةٍ سماء.
نُمارس العِشقَ بينما نهبط
لا وقت
للمَ البعثرة
للتوبة
لقَضمةٍ لذيذة من فاكهةِ الشر
لاقتطافِ ورقةِ توت
لقد تجاوزنا السماءَ المئة
لا يمكننا التراجع.
نحنُ استَوينا على بسيطةِ الهوى
على العُشب والتراب،
نتقرفص على حافةِ الدنيا
نروي تفاصيلَ الحكايةِ للريح
نُعلِّمُ صغار الدودِ التقبيلَ والصلاة
بأنهم ليسوا قبيحين كما أشيع
هم مثلُنا،
آتون من هناك.
فلنؤجِّلْ طلبَ المغفرةِ للغد.
ولنُغنِّ أغنيةً أخيرة،
وننتظرْ قرارَ الربِّ في الصباح...

غصّة انفرادية

مُنتصفُ الليل
ها أنا ذا...
أضعُ الأواني في آلةِ الغسيل
أنظّفُ أسطحَ المطبخِ
أطوي الملابس
كان الكرسيُّ أمامي خاوياً...
بقي رابضاً في المكان سكوتُها
المرأةُ التي كانت تبتسم لي
انقَضَّ شيئاً منها في داخلي
ونَزَلَتْ...

في القطار البريطاني

الآن ليلاً
في القطار المتجهِ إلى مانشستر مِنْ
لندنْ
امرأةٌ أربعينيةٌ ذات بشرةٍ قَمْحيةٍ
لوحدها منكبةٌ تكتبُ
بلا توقفٍ على دفترها الصغير.
ربّما كتبتْ: لم أعدْ بحاجةٍ إلى الحبّ،
لا متسع إلا لكتابةِ الليل
في جسدي الذي ما يزالُ طريّا وعبقاً.
وربّما كتبتْ:
الحياةُ زاخرةٌ بما يكفي هنا،
فلأشربْ هدوءَ القطارِ السريع،
ولأنعمْ ببرائحةِ الوقتِ الذي ينسدلُ
سريعاً هو الآخرُ.

سكة خاوية

(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع
للناس)
أيتها السكة الخاوية
ها هو يقبع على حديدكِ سجل
المدهوسين بين عجلات زميلكِ القطار
أكاد أراه ماثلاً أمامي
وأتخيلني مكانهم تماماً
ستقولين ربما كان أحدهم قرر
الانتحار
أضعُ ما تبقّى من الطعام في الثلّاجة
أتأكّدُ أن الأبوابَ مُغلقة
قفصُ الطيور
مخفيٌ عن الضوء
لتستريحَ من التغريدِ بلا جدوى
والقطة
تغفو في مكانٍ دافئ.
ها أنا ذا،
أمشّطُ شعري
أُطبّقُ روتينَ العنايةِ اليوميّ بالبشرة
بحذافيره
طبقةً فوق طبقة.
أتفقّدُ الصغار
أحاولُ الولوجَ إلى أحلامهم
ربما قرروا أن يتخفّفوا من حقائب
اللاجدوى على كواهلهم
وربما حدث ذلك بالخطأ...
وساقول:
أكان دورك أن تنقلي البشر بين
محطات الحياة
أم أن تنقليهم إلى محطات الموت
الأبدية؟
أكان عليكِ أن ترافي بهم
أم أن تُنزلي عليهم بأس حديدكِ
الشديد؟

المحطة/الهاوية

(مرّ القطار سريعاً، كنتُ أنتظرُ-محمود
درويش)
قطارنا السريع الذي مرّ بكَ
عبثاً نزجر سائقَهُ المجهول
أن يتمهل قليلاً
قبل النزول في محطة غامضة
لا نعرف توقيت الوصول إليها
ولا ينبغي لنا ذلك...
محطةٌ
هاوية هائلة
أو ربما فردوس هائل...
من يدري؟!

تيه

جاءت إليّ
تُريني بطاقة السفر
تسألني عن الوجهة
شككتُ أنها تريد شيئاً آخر
لأتأكّدَ أنّهم سعداء:
يحلمونَ بأميراتٍ طيّبات
حدائقِ جوري
وموسيقى.
أعودُ إلى غرفتي
أتحسّسُ حوافَّ الجدران
الأثاثَ
والسجادة.
أضطجعُ على الفراش،
أسترجعُ الإيقاعات
أستعدُّ للغَصّةِ الانفرادية
أخيرًا،
أنا وحدي.
لا أحدَ سواي يفتحُ أزرارَ العباءة
يرمي العباءة
يتجوّلُ داخل هذا الجسد
مُشعّثةً وبدونِ مكياج،
ومعي
لترُ دموع
لما تبقّى مِن الليل.

لا تُفكّر في الاقتراب

لو كنتَ تخشى لسعَ النحلِ
لا تُغرِمْ بامرأةٍ مثلي.
لا تُفكّر في الاقتراب
في بدءِ حديثٍ معها
ومحاورتها عن الشعرِ
والمناخ
ومذاقِ الشامبانيا
وإيّاكَ إيّاك،
أن تُفكّرَ في تقبيلها
في تطويقِ خصرِها ودعوتِها
للرقص
أو في قطعِ تذكرتين
لفيلمِ السابعةِ مساءً
فبعضُ النساء
مثلي:
لا يُنالُ عسلُهُنّ إلا باللسع.

امرأةٌ نحيلة

امرأةٌ نحيلة،
ترتدي تنّورةً سوداء وحذاءً أحمر
تُخفي حاجبيها المقوّسين في قبّعةٍ
فرنسية.
بيديها الصغيرتين
تحرّكُ شعرها للخلف
حين تتوتّر.
رأيتُها داخل رأسك
تتجوّلُ
وكأنّها تمتلكه.
أخطّطُ لقتلها
الليلة.

*شاعرة سودانية مقيمة في أميركا

لوحة للفنان السوداني رشيد دياب

ستيف ماكوري، محطة القطار، اغرا، 1983

قطارات

عبد الله زهير *

قطار السابعة مساءً

البراق من طنجة إلى الدار البيضاء
السرعة 312 كيلومتراً في الساعة...
في أعالي الهضاب منزل أيل للسقوط
منفرد كما لو أنه خروف يرعى بعيداً
من القطيع لي فضول غريب أن أعرف
ساكنيه.
كيف يصرفون أوقاتهم؟
هل يشعرون بالحزن أم بالسعادة؟
هل تصيبهم الوحشة أم يتآلفون مع
الطبيعة؟
ماذا يفعلون بذئاب الضجر لو
هجمت؟
ماذا يأكلون؟
وماذا يشربون؟
كيف يقضون حاجاتهم الضرورية؟
كيف يضاجع الرجل زوجته مثلاً؟
وماذا لو حملت الزوجة أو أنجبت
طفلاً؟
كيف يتدبرون الأمور؟
أتسعّ بين المقصورات متجنباً ذاك
الصاحب الثقيل:
ديسك الظهر.
أصل إلى المقصف
وأبقى طويلاً متأملاً من خلف النوافذ
ثم أتسكع من جديد...
يصبُّ الليلُ سيولَ ظلامه الدامس
تبدو الأشياء غارقةً في النعاس
خارجياً لا يكاد طيف لكائن ما يظهر
وسط خضم الوحشة الهائلة
سوى أضواء المباني والطرق
تتلامع من بعيد
كحرس يسهرون على هدوء المدينة
وطمأنينة الكائنات.

المرأة التي في القطار

في القطار
المرأة قبالتي ساكتة
كما لو أنها نابتة في جذر شجرة
معزولة
كما لو أنها حجر
في بؤبؤ عينيها دمعة قاسية
أقسمتُ ألا تنزل
ثمة شلال يكاد يجفّ في عروق
جسدها
وفاكهة مضى وقتها
في حلقها نار مشتعلة
كلما طالت الطريق
كانت المرأة تحلو في سكوتها
كانت
تبتسم كلما أعيننا تلاقت
في الطريق
قلتُ أغمضُ عيني قليلاً
وحينما أفقتُ

أمسينا أسماء للأفعال

عامر الطيب *

بعد أن كانت قصيدتي ملأى
بالطيور
حلّ المساءُ
فأخذت النسوة العصافير الملونة
وجر الرفاق غربانا وحماماً
وطواويس
ثم أبقى الأعداء صقورهم
معصوبة الأعين
قبل أن يودعوها الريح.
الآن في الفم كلمات
أخف من الريش
غير أنها شاقة على القول
وجارحة في الآن نفسه
حل المساء مبكراً
وقصيدتي اليتيمة ملأى بالأعشاش
فقط

■■■

أحسب الوجوه
والأفواه التي أحبتني
وأغفل عن القلوب لأنها لا تفعل ذلك
وليس بوسعها.
أحسب الأوردة والبطون والآذان
والأنوف التي أحبتني زيادة عن
اللزوم
وأغفل عن الأقدام
لأن ذلك لم يكن باستطاعتها.
أحسب الرؤوس الوحيدة التي
لا أتيحَ أصحابها
في الريح
وفي التلويح
حين ألمح الرأس الواحد منها
منكفئاً في الأيدي

■■■

قدح الفتى في أول النهار
حصاتان لتسود النار
أمضى وقتاً طويلاً
قبل أن يصنع غذاء لنفسه
ومساء دافئاً على العشب المهزوز
لشريكته.
قبالة النار عرف الياس والحنان
الرغبة والذل
الطعنة والخواء في مكتبه المستطيل
واضعاً يديه على الطاولة
بانحناءة غريبة.
أطفأ المصباح الكهربائي
فالتمعت بذهنه لمحة بعيدة
وهذه القصيدة تعرّفه أن تلك اللمحة
ليست سوى قدحة الحصى.

■■■

الجسد المنتصر يبتهج
والمهزوم ينكمش
أما ظلالهما، فليس فيها كل ذلك
الوضوح
والأمر لم يكن ذا أهمية
حين لم يبد العالم مقسوماً إلى ليل
ونهار.
في الأمد اللانهائي من الليل
كم كان ينقق الواحد منا أيامه
تدبيراً لجسد.

■■■

تلتحف الجذور بالتراب
وبالهواء البراعم تفعل ذلك
أما الأزهار، فبعينيك الجريحتين
تنام ليلها كاملاً.
الجذور في الطين تغبط مصير
زهيراتها
الجذور في قصيدتك تصرخ:
يعوزني أن أذبل

■■■

الزوارق هي الحقائق التي
يفترض أن نعرفها عن الأنهار
حيث تشقّ طريقاً نحو ذاكرتنا
برائحة النعناع.

■■■

سيو يونغ-دوك. الياس 205 ـ 2016

قصيدة أخيرة مهداة
لقائد فلسطيني لكن ماذا يصنع
بها؟
وقد تفتت الحجار القديم
في الأغنيات
وأزيحت الأرض من تحت قدميه.
حوصر بالصمت وبالكلام
حوصرت غرفته
بالأضواء
وألقيت على بيته عشرات الصواريخ
ثم أطل ناجياً ومنكسراً
لأنه لم يمت...
قصيدة أخيرة مهداة
لبطل مثل أشد الأشجار وحشة
أنسيناه أنه إنسان
ينبغي أن يستغرق حياته اللازمة
ليموت.

■■■

يصعب أن أجد
امرأة مجهولة فأبكي قرابة
يومها
يصعب أن أدوّر قصيدتي
وأثناء ذلك أشذبها
إلى أن تساوي كلمة واحدة
الكلمة التي تأتي بالقياس الدقيق
تجويفاً للفم.

■■■

بين الفعل ينطوي
والفعل يتوارى
راكمنا المزيد من كلمات عدمنا
ووجودنا
توارى من أراد أن يظل
منطفئاً كقنديل الشارع
وانطوى إلى زمنه من أراد أن يزول
كآخر النهار...
بين حيل اللغة العربية العديدة
أمسينا أسماءً للأفعال.

* شاعر من العراق

ربما في الإحساس خير

أحسايه بنزبير*

ربما بإحساس- كما لو أنه قطاع
خاص- حاولتُ المشي في اللون-
وفجأة، كررتُ الشيء نفسه- على
اليسار، تذكرتُ قطار- تجاور بياض
المائدة - وأشياء أخرى، ولأن البرد
فعلاً برد- توقفتُ أمام كاتدرائية نثرٍ!

■■■

كانت غبيّاً لا طعم له: حبي الذي
يتْدَرِب نزاهةَ تردُّدٍ.

■■■

هنا، حشدٌ عاشقٌ يتكور في تزامن -
ثم وجه سريع التبخّر، يحكي حليبَ
أيامه - ماذا لو كنتُ ميالاً إلى العالم
في تشمُّع ازرق، ماذا لو انتضدْتُها
واستوعبتُها في جداد وثني، لأن
تنورتها شفيفة وتتوارك. هنا، فم
يدقق في قنفذا المعركة.

■■■

صباح أبيض يرسم فتحة برد أو
جنْفَاص فقير، - صحيح إلى حد ما
هذا الزيت في وجهي - وما أطيب
صوت المروحة، لما كنتُ ضحية بين
فخذيها. أو بين مراتين تحت سقيفة
ابن رشد، بالصدفة!

■■■

لا بد أن العين أرحم من الصوت
اليتيم.

■■■

شرائح في سيارة حمراء- تذكّرني
بغيمة- ولا شيء يحدث- اللهم فار-
تحت العجلات دمه ينزف- طيب-
إحساساتي شدفة- في علبة، ولما لا.
ثم همستُني في عَرَقي: الشعر ذاكرة
اللسان!

■■■

بالقرب من لحمها، جملة تقول إن
ارتبكتُ
أجبتُ في غير ثقة.
نظرتُ في وجهي باستغرابٍ
وسخريةٍ
وانصرفتُ...

في نفق العائش

دخل القطارُ في نفقٍ غامض
لم يكنْ يبدو أننا تحتَ بحرٍ يموج
كلّ شيءٍ هنا موارب
رحلةٌ
لا هي من النهار
ولا هي من الليل
كما لو أننا في مهبِّ الخيال
في وقت تشتهي خلاله أنْ تكون
سمكةً في هذا البحر الذي فوقك
أو هكذا يبدو.
قرابة الساعتين
وصلنا إلى وجهتِنا على الجانب
البريطاني
سأل المفتش العجوزُ صاحبي
بلكنةٍ إنجليزيةٍ عتيقة
بعد أن رأى سمة دخول إيرانية في
جواز سفره:
Why did you go to Iran?
ابتلع صاحبي لسانَهُ ولمْ يفهم...
أجبتُه visit, just visit, just :
نظر إلينا بتفحص
ثم خَتَمَ الجوازات
وتركنا ننصرف إلى سبيلنا...

* شاعر من البحرين

هروات قصاب باشي. من دون عنوان. 1968

الجبران- هيات حُوتاً مقلياً ثم ذررت
الملح عليه- لأني لا أحبه مَسُوساً-
أفضل استراتيجية لتفادي طاقم لا
تاريخ له -سوى- مجلة شرقية.

■■■

البرتقال برتقال، والمراسيم مراسيم؛
ولقاءهم من صنع المستحيل.

■■■

لمدة ثانية- وحتى لا أسقط في قومية
إننا في نفط الكلام نترمرغ -وغالباً
ميالون إلى حب ما يلمع دون علم
أحد- ثم ننام لأننا استهلكنا ما
يكفي من عليق وزيت -ما يلمع لا
يليق بي- في الباب ثقب، ربما.

■■■

هل أقلد لأموت معتمداً على نفسي؟
- فقط، شبه رسالة- كانت شاهدة
على سياسة بيضاء- شكراً، إذن،
للشخص الذي أتجاهله بكل بساطة.

■■■

الكلب الأسود لم ينبح هذا اليوم
- لحسن الحظ عولت على نفسي-
لأنام: اكتفاء ذاتي بسيط - وليس
حراماً ألا ينبح الكلب المذكور أعلاه
- عفواً!

■■■

معاً، اقترفنا نشر مسامير في
الطريق المؤدية إلى لحمها. ثم
عرجنا على محطة ما لنزع التفاهة
بين دعوتين لشرب كاس أو كتابة
رواية – كم أحبك كلما حولتِ جسمي
إلى حيوان سياسي.

■■■

أبحث عن جملة.

■■■

أكيد- فقدت القدرة على التواصل-
لما، بلا اكتراث، أحلم بحرث طيب
بين أسناد هشة وباب قديم يحمل
اسمي- وعلى سبيل التعويض،
حاولت مرة أخرى- اللون فيه مشي
وهرولة- لا سرد- لا شخوص- لا
عتبة...

■■■

فقاقيع الصابون دليل خطير على
بوادر تنقصص دوراً ثانوياً.

* شاعر من المغرب

دراسة

اللاهوت السياسي في «المملكة غير المقدسة»

يتناول كتاب «المملكة غير المقدسة» تاريخ الدولة السعودية من زاوية العلاقة بين الدين والسلطة، متتبعاً مسار تشكّل شرعيتها السياسية منذ نشأتها وحتى عهد محمد بن سلمان. ومن خلال ملفات خاشقجي والنفط والحج والمعارضة الدينية، يقدّم قراءة نقدية لتقاطعات المقدس والعنف والحداثة في المملكة

وصال الوردي

يبني ماليس روثفن كتابه «المملكة غير المقدّسة: دين فساد وعنف في السعودية» (دار «فيرسو») حجته حول اللاهوت السياسي في حكم آل سعود عبر مسار تراكمي يبدأ من لحظة اغتيال الصحافي جمال خاشقجي في إسطنبول عام 2018، ثم يعود تدريجياً إلى الوراء، حتى يصل إلى ليلة من عام 1902، حين تسلّل بن سعود ورجاله عبر بساتين النخيل، وقتل الحاكم الرشيدي للمدينة، ليؤمّ الناس بعدها في الصلاة ويعلن لحظة تأسيسية لحكم جديد.

يأتي الكتاب في عشرة فصول، يتتبع الباحث والمحلل الإيرلندي عبرها تشكّل سلطة آل سعود وتوترات القبيلة والدين داخلياً، وسواء صمد هذا القياس تاريخياً أم لا، فإنّ دوره داخل الحجة واضح: إبراز الكيفية التي يُختزل بها التعقيد السياسي إلى ثنائيات أخلاقية مشحونة — إيران، والإخوان المسلمون، والتشيّع — إذ تتحول هذه العناصر إلى أوعية مرنة تُسقط فيها مخاوف الدولة وقلقها.

ويتطرق الكتاب أيضاً إلى سوسيولوجيا الشباب والرضى السياسي. فالمجتمع السعودي مجتمع فتي ديموغرافياً، مشبع بالتكنولوجيا، ومتارجح بين الهشاشة الاقتصادية والطموح الاجتماعي. أما التأييد الذي يحظى به محمد بن سلمان بين قطاعات من الشباب، فهو نتاج لشروط بنيوية تتمثل في الركود الاقتصادي وضيق البدائل السياسية، فالقبول، بهذا المعنى، لا يعني بالضرورة امتلاك فاعلية سياسية.

من الدعوة إلى الدولة

في فصل يتناول الوهابية، يرى الكاتب أنّ إزالة التراكمات التاريخية من الدين، والعودة إلى تصوّر سلفي أكثر صرامة للنص والعقيدة، وفّرتا أساساً ملائماً لبناء سلطة جديدة. لكن هذه القراءة تخاطر بتبسيط تعقيد التجربة التاريخية، كأنّ الفاعلين كانوا يتحركون وفق خطة واضحة منذ البداية، بينما تكشف الأحداث نفسها عن عالم مليء بالتردد والصراع والفرص غير المتوقعة. يجد روثفن أحد مفاتيحه الكبرى في نظرية ابن خلدون حول العصبية: قوة التضامن القبلي تؤسس للفتح، ثم تنشأ الدولة، وبعد الاستقرار تبدأ دورة الضعف. تظهر هذه الفكرة في قصة الإخوان. فقد كانوا أكثر من مجرد مقاتلين قبليين؛ إذ أعاد بن سعود تشكيلهم عبر مستوطنات دينية عسكرية مثل «الأرطاوية». لكن القوة التي صنعت توسع بن سعود أصبحت لاحقاً تهديداً له. ففي فتح الحجاز بين 1924 و1925، ارتكب الإخوان أعمال عنف واسعة، ودخلوا مكة والمدينة، ورفضوا الحدود الجديدة التي فرضتها الدولة، وأرادوا القيام بغارات للتوسع في العراق وشرق الأردن.

وجاءت معركة السبلة عام 1929 حين سحقت الدولة الحركة التي ساعدتها على الصعود. واحتكر بن سعود الأرض والقوة، وسلطة تعريف الواقع نفسه: من هو الحليف، ومن هو العدو، ومن هو المؤمن، ومن هو الخارج عن الجماعة، فبناء الدولة السعودية كان توحيداً للأراضي، وتوحيداً لمجال التأويل.

النفط وفلسطين

كان واضحاً، في الأربعينيات، أن مركز الثقل في السعودية أخذ ينتقل من بريطانيا إلى الولايات المتحدة. فقد أرسلت واشنطن الجيولوجي الشهير إيفريت غولبر إلى الخليج لدراسة مستقبل النفط. وبعد عودته، كتب أن «مركز ثقل إنتاج النفط العالمي ينتقل من مناطق خليج المكسيك والبحر الكاريبي إلى الشرق الأوسط والخليج الفارسي، مستقبل النفط العالمي في هذه البقعة»، وهو تقييم جعل السعودية جزءاً من الحسابات الاستراتيجية الأميركية.

وفي عام 1941، اقترح مبعوث روزفلت على بن سعود اتفاقاً؛ تحصل بموجبه السعودية على عشرين مليون جنيه إسترليني، مقابل قبول انتقال اليهود إلى الجزء الغربي من فلسطين. وفي المقابل، يدعم اليهود فكرة وحدة عربية بقيادة بن سعود. كان رد الملك غاضباً واعتبر العرض إهانة شخصية. وحين جاء اللقاء الشهير بين بن سعود وروزفلت عام 1945 على متن الطراد الأميركي «كوينسي» قرب قناة السويس، حاول روزفلت إقناع الملك بأن يكون أكثر مرونة تجاه هجرة اليهود، مشيراً إلى المعاناة الهائلة التي تعرض لها اليهود الأوروبيون تحت الحكم النازي. لكن بن سعود قال إن على ألمانيا أن تدفع ثمن جرائمها، لا العرب. تعهد روزفلت لاحقاً بأنه لن يغير سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين من دون التشاور مع العرب، لكن وفاته بعد شهرين غيّرت المشهد. فقد جاء خلفه هاري ترومان، الذي دعم لاحقاً قيام إسرائيل.

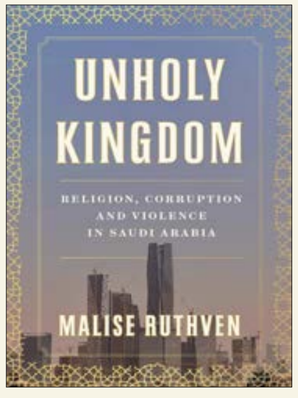

أصبحت سيطرة الدولة السعودية على الخطاب الديني أكثر مركزية

وبعد نهاية الحرب، استأنفت صادرات النفط، وارتفعت إيراداته بسرعة، وأدرك بن سعود أنّ زيادة أرباح الشركات الأميركية تعني زيادة ارتباط واشنطن باستقرار حكمه. وهكذا، بحلول منتصف القرن العشرين، كانت السعودية قد انتقلت من دولة تعتمد على التوازنات القبلية والحماية البريطانية إلى دولة ترتبط بالنفط والتحالف مع أميركا.

بين اللاهوت والسلطة

يتحرك ماليس روثفن من حادثة محددة وقعت عام 1979 إلى سؤال أوسع حول طبيعة الحكم السعودي، ودور اللاهوت السني، والسياسة التي تُنتجها إدارة الفضاء المقدس. ينطلق من اقتحام المسجد بقيادة جهيمان العتيبي، حيث يضع روثفن هذا التمرد ضمن تاريخ أطول من المعارضة الدينية في السعودية، ويربطه بإحساس بالاغتراب نتج من التحديث السريع. فالتغير الاجتماعي أنتج رد فعل تطهيرياً متشدداً وجد في الخطاب المهدوي لغة لتبرير العنف. ويبرز العنصر المهدوي من خلال شخصية محمد بن عبد الله القحطاني الذي أعلن جهيمان أنه المهدي المنتظر.

وعند تناوله كوارث الحج، يقرأ العلاقة بين المقدس والإدارة. فالتدافع والحرائق وسوء التنظيم لا تُعرض بوصفها أخطاء تقنية فقط، بل كأعراض لمشكلة أعمق تتعلق بكيفية إدارة فضاء ديني عالمي داخل نظام سياسي مركزي. ينتقد الكتاب تحول مكة إلى فضاء عمراني تجاري. فالأبراج والمشاريع العقارية حول الحرم تكشف عن التوتر بين رمزية الحج القائمة على المساواة وبين اقتصاد الحج القائمة على المساواة تشبيه مكة بـ«لاس فيغاس» يحمل قوة بلاغية، إلا أنّ الحجة الأساسية تبقى أكثر أهمية: القرب من المقدس أصبح طبقياً أكثر من أي وقت مضى.

في النهاية، يقدّم الكتاب السعودية باعتبارها مساحة من المقدس والسياسي، من العقيدة والمال، ومن التاريخ والحداثة، ويفتح تساؤلاً عما إذا كان النظام السعودي مستقراً بالفعل أم أنه نظام قادر على الاستمرار بينما هناك توتر مؤجل ينتظر لحظة الانفجار؟

تاريخ

يعيد بدر الحاج، في الجزء الثاني من «الوثائق السرية للاحتلال الفرنسي»، قراءة مرحلة مفصلية من تاريخ المشرق عبر وثائق فرنسية نادرة. يكشف الكتاب آليات العنف الاستعماري خلال الثورة السورية الكبرى، ويضيء على ثورة البراق وشبكات النفوذ والدعاية وشراء الولاءات، مقدّماً أرشيفاً يطعن في السرديات الرسمية ويعيد فتح ملفات لم تُغلق بعد

بدر الحاج يعرّي أسطورة «الانتداب الحضاري»

بول مخلوف

يواصل بدر الحاج تقويض السردية الوطنية الرسمية، ونقض التاريخ الذي كُتب على مقاس الانتداب الفرنسي. في مجلده الثاني «الوثائق السرية للاحتلال الفرنسي» الصادر حديثاً عن «دار كتب»، يضع بين أيدينا كنزاً وثائقياً نادراً، استُخرج معظمه من مركز الأرشيف الدبلوماسي في نانت (CADN).

هذا ليس كتاباً تاريخياً بالمعنى التقليدي، بقدر ما هو محاكمة مؤجّلة منذ عقود؛ ملف اتهام مفتوح يكشف، من داخل الوثائق نفسها، عن عنف الاحتلال الفرنسي في سوريا، ويضيء في الوقت نفسه على شبكات النفوذ والرشوة والدعاية التي رافقت بدايات المشروع الصهيوني في المنطقة قبل قيام إسرائيل.

يغطي هذا الجزء الأعوام الممتدة بين 1925 و1930، استكمالاً للجزء الأول (1895–1925). ما يمنح هذا العمل فرادته ليس جمع الوثائق فحسب، بل قدرته على إعادة تركيب آليات السلطة الاستعمارية من داخل غرفها المغلقة، بما فيها من تناقضات وفضائح وشبكات نفوذ. مستنداً إلى 91 وثيقة سرية من أرشيف نانت، يضع الحاج إصبعه على الجرح المفتوح في الذاكرة الاستعمارية، ويوجه ضربة مباشرة إلى أسطورة «الانتداب الحضاري» التي طلّت فرنسا تروّج لها وتتغنى بها طويلاً.

الثورة السورية الكبرى: جريمة حرب مكتوبة بخط اليد

في صيف 1925، اشتعلت سوريا. أصر الفرنسيون على توصيف ما حدث باعتباره «ثورة درزية»، فيما تكشف الوثائق أنها كانت انتفاضة شعبية واسعة امتدت من جبل العرب إلى دمشق وحماة وحلب ووادي التيم. جاء الرد الفرنسي مثالياً إذا ما قيس بمعايير العنف الاستعماري: قصف جوي ومدفعي للمدن، إحراق للأسواق، تدمير للأحياء، وإعدامات ميدانية. لا يعرض الحاج هنا تأويلاً أو موقفاً سياسياً، بل يقدّم ما تقوله الوثائق الفرنسية نفسها. ففي الوثيقة الأولى، يعترف الجنرال موريس غامالان، قائد جيوش المشرق، بأنّ قواته «وجدت نفسها وجهاً لوجه مع السكان في حالة دفاع مشروع عن النفس»، ويقرّ بأن المركز التاريخي لدمشق دُمّر وأن الخسائر بلغت نحو مليون جنيه إسترليني، مع العثور على 300 جثة في حي الشاغور.

لكن الاعتراف لا يقود إلى المراجعة، بل إلى التبرير، فالدمشقيون «مسؤولون لأنهم لم يتعاونوا». هكذا يظهر منطق المستعمر في أكثر صوره اكتمالاً: يقصفك لأنك لم تخضع.

الوثيقة الأكثر إثارة تأتي في تقرير الكولونيل رينال (الوثيقة 10). بعد شكوى رفعتها القيادة السورية الفلسطينية إلى عصبة الأمم، كُلّف الضابط المتقاعد بإجراء تحقيق. غير أنّ التحقيق انتهى إلى ما يشبه التبرئة المسبقة: استند إلى شهادات مختار موالين، ونفى وقوع الفظائع، ووصف الجيش الفرنسي بأنه «جيش الأخلاق النبيلة»، واعتبر الدروز «لعنة الجميع». بيد أنّ الصورة تتصدع في وثائق أخرى. في الوثيقة الثالثة، يرسل عميد السلك القنصلي في دمشق احتجاجاً رسمياً يتحدث فيه عن «قصف عشوائي بلا إنذار، ووجود النساء والأطفال ضمن دائرة الخطر، وفقدان الأجانب لشعورهم بالأمان». هذا التناقض بين التقرير الرسمي والشهادة الدبلوماسية هو ما يمنح عمل الحاج قيمته، فهو لا يكتفي بالرواية، بل يكشف كيف صُنعت الرواية. تبلغ الإدانة ذروتها مع المرسوم رقم 6002 (الملحق 7)، الذي يجيز أخذ الرهائن، والإعدامات الميدانية، ومصادرة الممتلكات. وما يقوم به الحاج، عبر جمع هذه الوثائق وترجمتها وتعليقها، يشبه عمل محقّق تاريخي يعيد فتح ملف الضحايا بعدما أختفى الجلادون، مظهراً كيف يبدو «القانون الاستعماري» ليس فقط غطاءً للعنف، بل شكله المؤسسي كذلك.

الثورة السورية الكبرى، وفق ما تكشفه هذه الوثائق، لم تكن «أعمال شغب» إذاً بل مقاومة شعبية قُمعت بعنف موثّق. وهذه هي القيمة الأولى للكتاب، محاكمة بالأرشيف والوثائق لا بالشعارات.

ثورة البراق: قائمة سوداء وتهريب سلاح

ينتقل الحاج إلى فلسطين، وتحديداً إلى صيف 1929. قدّمت الرواية البريطانية الرسمية لأحداث البراق بوصفها اضطرابات عفوية اندلعت على خلفية دينية، لكن الوثائق الفرنسية ترسم مشهداً مختلفاً وأكثر تعقيداً.

تكشف الوثيقة 51 أنّ سلطات الانتداب أعدّت «قائمة سوداء» قبل الأحداث، ضمت أسماء من بينها المفتي أمين الحسيني وجمال الحسيني، مع توصيات بالمراقبة. وهو ما يوحي بأنّ السلطات كانت تتوقع الانفجار وتستعد له مسبقاً. اللافت أنّ القائمة ضمّت أيضاً أسماء يهودية ذات توجهات بلشفية، ما يكشف أنّ هاجس السلطة البريطانية لم يكن دينياً بقدر ما كان ضبط أي حركة خارجة عن السيطرة.

أما الوثيقة 71، وهي تقرير للقنصل الفرنسي في القدس، فتصف إجراءات القمع: اعتقالات واسعة، إقامة جبرية، تحليق للطيران الحربي، وحضور بحري عسكري قبالة الساحل. على أنّ أكثر ما يلفت في هذا القسم هو ملف تهريب السلاح الصهيوني. في تشرين الثاني (نوفمبر) 1929، ضبطت الشرطة اللبنانية في الشويفات شحنة تضمنت رشاشاً ألمانياً، وبنادق، وقنابل يدوية، وذخائر.

وبحسب التحقيق الفرنسي، لم تكن المسألة مجرد تهريب معزول، بل جزءاً من استعداد لمواجهة مسلحة، تضمن أيضاً محاولات لتوريط عرب في عمليات النقل بما يسمح لاحقاً بقلب الرواية. على هذا النحو، تتحول ثورة البراق، كما يعرضها الحاج، من حدث على وشك الانفجار إلى صراع كان يجري التحضير له على أكثر من مستوى.

شراء الأقلام: حين صار الإعلام جزءاً من المعركة

القسم الأكثر إرباكاً في الكتاب هو الذي يتناول الدعاية الصهيونية ومحاولات التأثير في الصحافة والنخب العربية. تظهر الوثائق أنّ اللجنة الصهيونية في القدس خصّصت ميزانيات للتأثير الإعلامي، وأنّ الوكيل الصهيوني حاييم كالفارسكي لعب دوراً محورياً في توزيع الأموال داخل بيروت ودمشق. تورد بعض الوثائق أسماء صحف وشخصيات سياسية قبل إنها دخلت في قنوات تفاوض أو تلقت عروض دعم مالي مقابل تخفيف الخطاب المعادي للصهيونية أو تعديل نبرته.

اللافت هنا أنّ الحاج لا يتعامل مع هذه المواد بوصفها فضيحة أخلاقية فقط، إنّما باعتبارها دليلاً على أن الحرب الإعلامية الحديثة ليست ظاهرة معاصرة، بل كانت جزءاً من مشاريع النفوذ منذ بدايات القرن العشرين. في هذا الجزء، لا يتحدث الحاج عن «عدو خارجي» بل عن شراكة مريحة بين آلة دعائية صهيونية ونخب عربية ظلت تُقدّم على أنها «قومية» و«استقلالية». الأرقام واضحة. اللجنة الصهيونية في القدس رصدت 4,000 ليرة فلسطينية في ميزانية 1930 لشراء الصحف (الوثيقة 19). والوكيل الصهيوني حاييم كالفارسكي هو من وزّع الأموال في بيروت ودمشق. في الوثيقة 15، يعترف تقرير فرنسي بأن صحيفة «الوريان» تلقّت 300 ليرة ذهبية، وصحيفة «سورية» (La Syrie) تلقّت 150 ليرة و«أصبحتا في صف الوكالة اليهودية». الأسماء العربية صادمة. خير الدين الأحدب، مدير صحيفة «العهد الجديد» الثاني (نوفمبر) 1929، ضبطت الشرطة تلقى وعوداً بـ40 جنيه فلسطيني عبر رياض الصلح (الوثيقة 21). وقد التزم «بتخفيف حملته على الصهاينة». رياض الصلح نفسه، الذي وصفه الفرنسيون بـ«المحرض الرئيس على التظاهرات المناهضة للصهيونية» (الوثيقة 17)، كان يجتمع مع كالفارسكي في منزل صهيوني (منزل كولبير) ويتفاوض على أسعار تخفيف الهجوم. جبران تويني رفض في البداية (الوثيقة 17)، لكن وثائق لاحقة تشير إلى أنّ ضغط التمويل كان مستمراً.

أما «تحفة» هذا القسم، فهي كتيب محمد الطويل «الحقائق المجهولة» المنشور كاملاً في نهاية الملف. هذا الفلسطيني المتنقل بين الأديان (صار مسيحياً عام 1925 وتزوج يهودية عام 1928) كتب كتيباً بالعربية والعبرية يهاجم فيه المسيحيين ويكفرهم، ويصف وعد بلفور بأنه «جلب الخير لفلسطين» و«لولا اليهود لكانت بلادنا خراباً يباباً». بدر الحاج يعلق بمرارة «هذا هو منطق تكفير المسيحيين الذي كانت الصهيونية تروّجه، قبل أن تتحول لاحقاً إلى «حرص» على المسيحيين في لبنان وعلى الدروز والأكراد، وهي استراتيجية فرّق تسد بامتياز». القيمة الكبرى لهذا القسم أنها تثبت أنّ «الحرب الإعلامية» لم تولد مع قنوات «الجزيرة» أو تويتر، بل كانت منذ بدايات المشروع الصهيوني أداة أساسية، وبعض «أبطال القومية العربية» كانوا يتقاضون رواتب من الصهاينة الذين كانوا يخطبون ضدهم في النهار.

محقق تاريخي ينتصر للضحايا بعد فوات الأوان

ما يفعله بدر الحاج في المجلد الثاني هو عمل عدالة تأخر نصف قرن. الاستعمار الفرنسي انسحب من سورية منذ 1946، والبريطاني انتهى قبل عقود، والصهاينة أسسوا دولتهم. لكن جروح تلك الفترة لا تزال مفتوحة، والروايات ما تزال متنازعاً عليها. كان بدر الحاج يفتح الأرشيف ويقول: هذه هي وثائقكم. هذه اعترافات جنرالاتكم. هذا هو توقيع مندوبكم السامي على مراسيم الإعدامات الميدانية. هذه فواتير شراء ذمم عربكم. على أن تعويله على القارئ ليس لكي يصدّقه، بل في أن يقرأ.

(من المتوقع أن يصدر المجلد الثالث بعد عشرين يوماً)

يظهر منطق المستعمر في أكثر صوره اكتمالاً: يقصفك لأنك لم تخضع

رواية

إيمان نمر خزعل: نساء في مهبّ الحرب

رواية إيمان نمر خزعل «نساء في ردهة الانتظار»، صرخة مختنقة في فضاء الحرب، شهادات متصاعدة كدخان البراكين تخترق ركام المباني التي احالها القصف الإسرائيلي أكواماً من الحجارة

رجا عدنان

حاولت النساء السبع مغادرة المبنى بعد سماع أصوات القصف، فوجدن أنفسهن في أحد الطوابق بابها على إحدى الشقق التي انفتح بابها على إثر صاروخين أصابا المبنى. فجّرت تلك الردهة الأحاسيس، والذكريات والتجارب الإنسانية، وعذابات الحياة، والام الواقع التي أسهم فيها العدوان الإسرائيلي المزمن المتداخل مع جوانب الام الحياة اليومية وعلى نحو خاص المناطق المفتوحة على العدوان.

أطلقت الرواية العنان لتفجير ما تختزنه قلوب «سيّدات الردهة» من عذابات والام وقهر لتتحوّل إلى شهادات تحمل في طياتها عبراً تاريخية موثقة بقلم إحداهن المدونة لتلك العذابات كأنها وصايا لمن الأخيرة.

لم تكن شخصيات «الردهة» شخصيات صارخة مولولة، رغم حضور عوامل الخوف واليأس وترقّب المصير، لكنها شخصيات متأملة متبصّرة تعروها مسحة من التشاؤم واليأس لا تمنعها من أن تبوح بمكنوناتها وتطلق الشحن القابع داخلها.

تتداخل وتتمازج عناصر الرواية بشكل تدريجي وتفصيلي مثل الخوف والقهر والحس الجمعي والرحيل والانتظار والطفولة والصدق والحقيقة والغضب والمصير والندم، كلّها موضوعات دارت حولها الرواية. قام أدم مثلاً تفقد طفلها ابن الثلاث سنوات على يد قنّاص، ولكن بسبب نزواتها التي كانت تسعى إليها. والنتيجة همّ دائم تحمله على ظهرها مدى العمر، فهي ترفض رحيله وتعتبره حيّاً يشغلها من دون انقطاع.

من جهتها، تعلّقت شهيناز بمخلوق مُصاب «بتشوّه داخلي» وقد «عشت ازدواجية تنامت داخلي... لا زلت أحمل ندوبه والجراح المفتوحة»، وهذا ما أدى إلى ما تعتبره «انهزام الله في داخلي»، أي الانتقال إلى التفكير الشيطاني الانتقامي... «لقد تحوّلت شهيناز إلى قاتلة بمفعول رجعي وبجريمة مستمرة، فهي تقتل نفسها كل يوم».

ميساء بدأت قصّتها مع انهيار «منظومة المعتقدات» «كنت وصلت إلى مركز مرموق في عملي... لا بل كنت من المرشحين الأكثر حظّاً لتقلّد منصب غاية في الأهمية، عندها حضر من يُساومني على تقرير أعدّه بشأن إحدى المجازر المرتكبة بحق مدنيين عُزّل في ما يُشبه الإبادة الجماعية. رفضت بشدّة، وكانت النتيجة قراراً بإقالتي من جميع مناصبي وإعادتي إلى المركز الذي بدأت منه، وبعد وعدي بإعادة الحال إلى ما كنت عليه... نسيت كل مشاعر التعاطف التي كانت تؤرقني... لقد عقدت قراني على الشيطان».

أما «هيا» التي فقدت والدها في حرب تموز ولم يكن عمرها سنتين، فلم يبقَ لها منه إلا صورة بالأبيض والأسود معلّقة على الحائط... وهي لم تر أمّها يوماً تبتسم. وهي تتعذّب لأنها زادت من أعباء أمها من خلال سلوكها «فبدل مساعدتها ورفع رأسها فعلت ما قد يشعرها بالعار».

«نساء في ردهة الانتظار» ليست نصوصاً أملتها بنات الأفكار بقدر ما هي معايشة حسّية ولحظيّة للزمن عندما يمتزج مع الأحاسيس، ومواكبة التجارب حين تعصف بها رياح هائجة، وتجربة شخصيّة عندما تحمل الأيام انهيارات أحلام اليقظة، «تماماً كما حصل معي في ذلك اليوم، عندما كنت بعضاً من حدث وأصبحت شاهدة عليه». وتماماً «عندما سكتت أم أدم للحظات وأدركت أنها تحاول إخفاء ما تبقّى من قصتها ومن وجعها... التقت نظراتنا فخفضت رأسها لإخفاء ما قد قرأته في عينيها»، وعندما «انصاعت السيّدات لأم أدم فتوجهن إليها مبتسمات راضيات استشعرت خفتهن التي لا زلت أتوق لأن أحسها ولو للحظات» «لم أعد أذكر ما الذي حصل حينها. مرّت النساء أمامي بكامل أناقتهن، مبتسمات تنمّ وجوههن عن راحة عميقة». تلك كانت راحة الرحيل بهذه الصورة الدراماتيكية بعد أن نزل بالمبنى الصاروخ الأخير.

تصل الرواية إلى حبكة التداخل الشخصي للمأساة الجماعية: النساء رحلن إلى عالم الخلود، وهيا بقيت في عالم الغيبوبة التي ليست من الموت المطلق وطبعاً ليست من عالم الحياة وإنما من عالم آخر التعايش معه من دون إحساس محدد وخارج الزمان والمكان.

تخلص الرواية إلى أن الإنسان أثناء الغيبوبة التي هي حالة من النوم المتقطع الممزوج بالألم والخدر يرى رغباته وخوفه وأمنياته في أوضاع متجسّدة متوافقة مع كل حالة متقلّبة، حتى حسم الأمر مع الطبيب الذي قال: إن من تسألين عنه ليس موجوداً، لقد زارتها الروح المتجسدة في الإنسان الذي أحبت وقرأت اسمه على لوحة القبر.

رواية إيمان نمر خزعل صورة مصغّرة عمّا جرى ولا يزال يجري في عالمنا العربي، وفي بعض أصقاع العالم من غزّة إلى السودان إلى سوريا إلى العراق، وما تتركه وتسهم فيه حالات التسيّب الاجتماعي والأمني والاقتصادي والإنساني والمعرفي. عالم عربي وإنساني واسع متجسّد «بردهة».

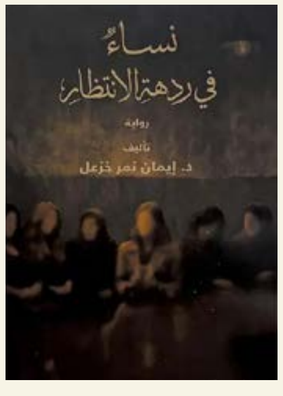

معايشة حسّية ولحظيّة للزمن المتداخل مع الاحاسيس

ذكرى

أمين الريحاني
الرجل الذي عاش في الغد

محمد ناصر الدين

ثمة كتّاب يكتبون عصرهم وينشدون إليه انشداد القوس إلى الوتر، وثمة كتّاب يسبقونه بخطوة صغيرة، لكن هناك قلة نادرة تكتب عصراً لم يأتِ بعد، حتى ليبدو الزمن نفسه متأخراً عنهم، تأخر القوس والوتر عن السهم الذي ينطلق في المدى.

وأمين الريحاني (1976 ـ 1940)، الذي تحلّ هذا العام الذكرى المئة والخمسون على ولادته، واحد من هؤلاء. لم يكن صاحب «فيلسوف الفريكة» مجرد ابن قرية لبنانية حملته سفينة مهاجرة إلى نيويورك في نهاية القرن التاسع عشر، ولا مجرد مهاجر اكتشف لغة جديدة، ولا حتى رائداً من رواد النهضة العربية كما اعتادت الأدبيات على وصفه: تكمن كل أهميته وراهنيته في أنه كان عقلًا رفض أن يقيم في زمنه، واختار أن يسكن الغد.

ما هو السر الذي يجعل العودة إلى أمين اليوم مختلفة عن العودة إلى كثير من أبناء جيله؟ إنها ذلك المسّ الغريب الذي ينتاب القارئ حين يطالع صفحات مؤلفاته، وكأننا لا نقرأ نصوصاً كُتبت قبل قرن ونيّف، بل نصيح السمع إلى أهم أسئلة العالم الراهن حول الحرية والعدالة والعلاقة بين الشرق والغرب، مروراً بالاستعمار والهوية والشعر وخطر التعصب الديني وإصلاح التعليم، وليس انتهاءً بالعقل، والعلاقة بين الدين والدولة والتكنولوجيا الأولى التي كانت تُدعى يومها «الآلة».

كل هذه الثيمات حضرت في ذلك الذهن الألمعي القادر على جمعها في توليفة سؤال مركزي واحد: كيف يصبح الإنسان أكثر إنسانية؟

ربما يكون أمين الريحاني من أكثر الأدباء المشارقة الذين ظلمتهم الألقاب: تارة في تسميته «رائد الأدب المهجري»، واختصار كل نتاجه المتنوع في مدرسة أدبية واحدة، أو بتصنيفه ضمن «الرحالة»، كأنّ رحلاته أكبر من أفكاره، أو بالاحتفاء بكونه من أوائل الأدباء العرب رواية بالإنكليزية، كأن أهمية كتاب خالد تكمن في اللغة التي كتب بها لا في الرؤية الطليعية والتنويرية التي حملها، أو باستذكار صداقته بجبران، حين بدا أن النقاد يستعيرون من جبران شيئاً من الضوء لإلقائه فوق الريحاني، مع أن الرجل كان يملك نوره الخاص، وربما كان أكثر التصاقاً بأسئلة المجتمع والسياسة والفكر من معظم أبناء جيله.

الطفل المولود في الفريكة سنة 1876 والمهاجر مع أسرته إلى نيويورك، سرعان ما أخرجه والده وعمه من المدرسة ليعمل معهما في متجر صغير في قبو في منهاتن: في تلك المساحة الضيقة التي اصطدمت روحه فيها بالحياة الكوسموبوليتانية والصحافة الحرة والروح الليبرالية والتجارة الشرهة، اكتشف الصبي الشغوف بالمعرفة شكسبير وفيكتور هوغو في أوقات فراغه، ثم مضى يلتهم كتب داروين وإمرسون وثورو ووايتمن وتولستوي وغيرهم. كانت فترة القراءة أشبه بمرحلة المخاض والولادة لمثقف استثنائي لم يقع في المرض الذي أصاب كثيراً من مثقفي المشرق آنذاك: العمى الثقافي والانبطاح الثقافي أمام الحضارة المنطلقة بلا جذور أو كوابح. لم يرَ ابنُ الفريكة الغرب معجزة كاملة ينبغي أن يسلخ جلده أمامها أو يجلد ظهره، كما لم يعد إلى الشرق بشوفينية عمياء ليعلن تفوقه الأخلاقي على الغرب.

عرف الفتى العالق في ذلك البرزخ أو البين-بين أنّ الحضارة ليست عقيدة، وأن الحقيقة لا تسكن قارة أو جغرافيا بعينها. ولذلك لم يحاول أن يستبدل يقيناً بيقين، بل استبدل السؤال القلق باليقين الجامد.

حين أوغل الآخرون في الجدل حول أي الحضارتين أحق بالاتباع، كان كل همّه الإنسان الذي يتشوه وجهه وتتلطخ روحه في وحل حلبة المصارعة تلك. وحين كانت أوروبا تحتفل بماكينة البخار والمصانع، والولايات المتحدة تقدم نفسها بوصفها أرض الحريات والفرص اللامحدودة، لم يتوقف الريحاني عند الواجهة المضيئة.

لقد امتلك في قلبه تلك الياقوتة النادرة التي تجعل المفكر المنصف يبصر ما لا يريد المنتصرون أن يُسلَّط عليه الضوء. وحين كتب عن أميركا، كان أبعد ما يكون رحّالة يعاين عمارات وشوارع، وكانت المتناقضة التي برع في التقاطها أهم خلاصات تلك الرحلة: لقد رأى بأمّ العين الحيوية التي تصنعها الحرية، لكنه رأى أيضاً الثمن الذي يدفعه الإنسان ليحصل عليها.

كانت المدينة ترتفع إلى أعلى، بينما المفكر الذي فيه ينظر إلى أسفل، إلى العمّال والمهاجرين الذي يحملون مداميك صعودها فوق أكتافهم، وحين كانت المصانع تعد بعصر جديد تتداعى فيه الأشياء القديمة بأسرها، كان هو يسأل عن أولئك الذين يحترقون في أتونها كي تطل بحداثتها المتوهجة.

طرح أمين الريحاني في رحلته المهجرية أحد أكثر الأسئلة أكثر إزعاجاً: أي حرية يملكها الإنسان إذا كان معاشه مرهوناً بغيره؟ وهل يكفي أن يعيش الفرد في دولة حرة حتى يكون حراً؟ كان سؤالاً سابقاً لعصره، لأنه نقل الحرية من النصوص الدستورية إلى الحياة اليومية، وربطها بالكرامة والعمل والعدالة، لا بالسياسة وحدها.

كان ذلك إنذاراً باكراً بأن الحضارة، إذا فقدت ضميرها، تستطيع أن تتحوّل إلى آلة ضخمة تطحن عظام الإنسان باسم تقدمه.

لم يكن غريباً، بعد ذلك، أن تتجاوز كتابات الريحاني حدود لبنان وسوريا وربما من الأجدى اليوم إخراجه من الجدل السطحي حول لبنانية أو سورية أدباء المهجر في تلك الفترة التي لم تكن الخرائط والحدود قد تشكلت بشكلها الحالي.

فالريحاني لم يفكر يوماً داخل خرائط السياسة، وإنما تجاوزها إلى ما يمكن تسميته «خرائط العدالة». ولهذا، بينما كان أبناء جيله يكتبون عن أوطانهم وحدها، كان الرجل أمميّاً يكتب عن الهند، وعن الصين، وعن العامل الأميركي المظلوم والمضطهد، وعن الشعوب التي تُسحق تحت أقدام الإمبراطوريات. كان تضامنه معها يتموضع في الفكرة التي يؤمن بها: الظلم، مهما اختلفت لغاته وأعلامه، يظل ظلماً واحداً. وحين فضح المجازر البريطانية في الهند، كان ثائراً على النفاق الذي يجعل الاستعمار يتحدث باسم الحضارة، وعلى العنف الذي يلبس ثياب التمدين، والاحتلال الذي يتنكر بزيّ الرسالة.

لقد أدرك الريحاني، في وقت باكر، أن أخطر ما في الهيمنة اللغة التي تسبق المدفع. ولذلك ظل حذراً من الكلمات الكبيرة كلما جاءت محمولة على ظهور الجيوش. كما جاءت كتب رحلاته إلى الجزيرة العربية في عشرينيات القرن الماضي إضافة إلى مؤلفه المهم «ملوك العرب» مختلفة أيما اختلاف عن كتابات الرحّالين: فهي لا تصف الرمال والقصور بقدر ما تحاول أن تقرأ ما وراءها: السلطة، والدين، والقبيلة، والتاريخ، وأحلام النهضة العربية. كان يسافر بعين فيلسوف أكثر مما يجوب الآفاق بعين سائح.

لذلك يصعب اليوم أن نقرأ الريحاني من زاوية السياسة وحدها، أو الأدب وحده، أو حتى النهضة العربية وحدها. فقد كانت هذه كلها، بالنسبة إليه، وجوهاً مختلفة لسؤال واحد: كيف نخرج من الجمود؟ جمود السياسة، وجمود الدين، وجمود اللغة، وجمود الذوق، وحتى جمود الأفكار التي تتحول مع الزمن إلى أصنام جديدة. ولذلك لم يكن مؤلَّفه الأبرز «كتاب خالد» (1911) مجرد رواية، كما يحلو للنقاد أن يصنفوه. لقد كان، في جوهره، سيرة رحلة روحية لعقل عربي خرج إلى العالم ثم صاغ أسئلته البرزخية حول حدود الأفكار والثقافات والحضارات عوداً على بدء.

كان خالد، في كثير من وجوهه، صورة للريحاني نفسه، أو على الأقل صورة للأسئلة التي كانت تعصف بعقله الجدلي. لم يكن بطله يبحث عن وطن جديد بقدر بحثه عن إنسان جديد، يستطيع أن يقف بين الشرق والغرب من غير أن يكون تابعاً لهذا أو عميلاً لذاك.

كان باختصار يريد حضارة أوسع من الجهتين، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الرواية تبدو غريبة على زمنها. فقد جاءت في وقت كان الأدب العربي لا يزال مشغولاً بالوعظ أو التسلية أو المحاكاة، بينما كانت هي تطرح أسئلة الهوية، والهجرة، والدين، والحداثة، والاغتراب، بأسلوب لم يكن مألوفاً آنذاك. ولم يكن غريباً أن يستغرق القارئ العربي أكثر من سبعين عاماً ليقرأها بلغته. كأن الكتاب احتاج إلى زمنين؛ زمن لكتابته، وزمن آخر لفهمه. وهنا تتجلى مفارقة الريحاني كلّها. كان يصل دائماً قبل موعده... لذلك يمكن القول بثقة إنه من قلة قلية من الكتّاب الذين لا يجيبون عن أسئلة عصرهم فقط، وإنما يتركون أسئلة لعصور أخرى، وربما لهذا أيضاً لم يكن سهلاً على معاصريه أن يتفقوا عليه.

فهو، بالنسبة إلى المحافظين، بدا متمرداً أكثر مما ينبغي، وبالنسبة إلى الثوريين، مفرطاً في الإنسانية، وبالنسبة إلى اليمين القومي والانعزالي، كان كونياً أمميّاً أكثر من اللازم. أما بالنسبة إلى الأدباء، فقد كان مفكراً يكتب الأدب بقدر ما كان أديباً يفكر.

كل بريق الريحاني يكمن في أنه يفلت من التصنيفات الجاهزة التي تلتصق مثل الوشم على الجلد، وذلك مردّه إلى أنه لم يكن يكتب من موقع اليقين، ولذلك لا نجد في كتبه ذلك الاطمئنان الحديدي الذي يميز أصحاب العقائد المغلقة.

حين عاد الريحاني من ترحاله ليستقر في الفريكة الوادعة المطلة على البحر، لم يفعل ذلك بدافع عودة إلى لبنانيته التي لم يخرج منها أصلاً: لقد بقي لبنانيًا حتى النخاع، لكنه رفض أن يكون انتماؤه سورًا يفصله عن الآخرين، وربما كانت هذه إحدى الرسائل التي نحتاج إليها اليوم أكثر من أي وقت مضى، في زمن تتحول فيه الهويات، إلى خنادق. في زمن الذكاء الاصطناعي، والاستقطاب السياسي، وصدام الهويات، وعودة العصبيات القديمة بثياب جديدة، تبدو أسئلة الريحاني أكثر شباباً من كثير من الإجابات الراهنة التي تتردد دون توافر مسافة نقدية كافية لتقليبها على وجوهها كافة. لقد أدرك الرجل، قبل أكثر من قرن، أن المستقبل لا يُصنع بتقديس الماضي، ولا بعبادة الحداثة، وأن الإبداع هو في القدرة على الحوار بينهما.

كما أدرك أن الحضارة المدججة بالآلة تسقط إلى الحضيض حين لا تحفظ كرامة الإنسان. وأدرك، قبل أن تصبح هذه الفكرة شعاراً عالمياً، أن الثقافة الحقّة هي الطريقة التي يتعلم بها المجتمع أن يصحح أخطاءه.

ليس المطلوب، إذن، أن نحول الريحاني إلى تمثال جديد. فالرجل الذي قضى حياته كلها في كسر الأصنام لا يستحق أن يتحول إلى صنم آخر. ما يستحقه هو أن نعيد فتح الحوار معه، لا أن نكتفي بالاحتفاء به. أن نقرأه كما يُقرأ المعاصرون، وأن نتعامل مع كتبه باعتبارها أسئلة معلقة، لا أجوبة منجزة ومعلّبة. بعد مئة وخمسين عاماً على ولادته، قد لا تكون المفارقة الكبرى أن كثيراً من أحلامه لم تتحقق، بل في أن كثيراً من الإشكاليات التي طرحها لا تزال تنتظر بحثاً وكشفاً ومغامرة معرفية.

ما معنى الحرية إذا لم تحرسها العدالة والكرامة؟ كيف نكون أبناء أوطاننا من دون أن تكبلنا وتشدنا بأثقال إلى الأرض؟ كيف نستنشق من عبق العالم من غير أن نتلف الرئة التي في صدرنا؟ كيف نجدد تراثنا من دون أن نقطعه عن جذوره؟ تلك هي الأسئلة التي تجعل أمين الريحاني حياً. فالكتّاب الكبار، لا يُقاس عمرهم بعدد السنوات التي تفصلنا عن ميلادهم، بل بعدد المرات التي نكتشف فيها أن الزمن، رغم كل ما مضى، لم يسبقهم بعد.

> من الأجدى إخراجه من الجدل السطحي حول لبنانية أو سورية أدباء المهجر